

الكلونيل فاسلي رياحوف

# دُرُوبُ السِّجَاةِ وَالْمَجْدِ







الكارلوسيل فاسيلي ريبوف

دروب النجاعة

والمجد

الحجيس السوفياتي

خلة الحربية العامة الثابتة

هذا الكتاب إهداء من  
مكتبة يوسف درويش



يتحدث هذا الكراس عن تشكيل الجيش الاحمر ، ويشير الى المزايا العسكرية والاخلاقية للجندي السوفياتي ، والشجاعة والبطولة اللتين أبداهما في المعارك التي خاضها في سبيل تحرير وطنه وبلدان اوروبية عديدة من النير الفاشي . ويصف المراحل الرئيسية للحرب الوطنية الكبرى ونضال الشعوب السخي ضد النازية ، والمساعدة التي حملها الانتصار على الفاشية الاوروبية والعسكرية اليابانية ، الى حركة التحرر الوطني لشعوب آسيا ، وافريقيا ، واميركا اللاتينية .

ان خاتمة هذا الكتاب مكرسة للجيش السوفياتي اليوم ، ولدوره في الدفاع عن السلم وعن سلامة الشعوب امام خطر حرب حرارية - نووية . لقد اجتاز مؤلف هذا الكراس ، الضابط فاسيلي ريبوف ، كل رتب السلك العسكري في صفوف الجيش السوفياتي ، من رتبة جندي بسيط الى رتبة عقيد . وتقديرا لكفاحه في الحرب الوطنية الكبرى ( ١٩٤١ - ١٩٤٥ ) ، قلد ثمانية اوسمة ومداليات . وبعد الحرب تخرج من اكاديمية لينين العسكرية والسياسية . وفي الوقت السراهن ، فان فاسيلي ريبوف صحفي عسكري . وقد كتب مقالات وكراريس عديدة عن القوات المسلحة السوفياتية والصورة الاخلاقية لجنود وضباط هذا الجيش .

## الانسان الجديد تحت السلاح

يقال انه يوجد في كل مقارنة شيء عرقي . ومع ذلك فان هناك مقارنة تفرض نفسها بين حدثين من احداث نصف قرن يتألف منه تاريخ الدولة السوفياتية ، بين هجومين لهما طابع وزمن مختلفان ، لكن محتسواهما ونتائجهما كانت هامة ايضا . واود أن اتحدث عن الهجوم على قصر الشتاء في بطرسبورج (١) ، وقصر الرايخستاغ في برلين .

يعود الحدث الاول لاكتوبر ١٩١٧ حين حقق شعب روسيا الكادح الثورة الاشتراكية بعد ان وضع حدا لسيطرة البورجوازية وملاكي الاراضي النبلاء ، واستولى على السلطة كلها . ويقع الحدث الثاني في ايار ١٩٤٥ في الوقت الذي أشرفت فيه الحرب العالمية الثانية في مسرح العمليات الاوروبي على نهايتها ، وحين انهارت المانيا الهتلرية .

فأية نقاط مقارنة يمكن العثور عليها هنا ان لم يكن واقع ان قصر الشتاء والرايخستاغ قد انتزعهما بالقوة جمهور من الناس المسلحين ؟ ان الامر لا يتعلق بذلك بالطبع . وفي الواقع ، ففي مفزاهما الاجتماعي ، والسياسي ، والعالمي العميق انما يجمع بين هذين الحدثين الخالدين شيء مشترك .

وليس هناك أدنى شك بالنسبة للسوفياتيين ، ان الاستيلاء على قصر الشتاء وانتصار الثورة الاشتراكية ، اللذين بتوفيرهما

---

(١) المقر القديم للقيصرة في بطرسبورج ، ثم مقر الحكومة المؤقتة التي شكلتها البورجوازية .

ظروف نهوض سياسي واقتصادي جبار لروسيا جعلاً من الممكن تعزيز دفاعها وتشكيل جيش حديث . وهذا الجيش المجدد هو بالتحديد السذي صد فيما بعد الغزو الفاشي واستعاد المبادرة ووجه ضربته الى قلب الوحش النازي ، الى برلين . وتوجد اذن بين هذين التاريخين علاقة من السبب حتى النتيجة . ولذلك فقبل البحث في دور الجندي السوفياتي في المعارك الحاسمة للحرب العالمية الثانية ولكي يدرك القارئ على نحو افضل منشأ القيمة العسكرية والاخلاقية للمكافحين السوفيات ، فسنبدا بالرجوع الى فترة ابعد لكنها فترة رئيسية بالنسبة لتتمة قصتنا .

### في سبيل فهم المسائل الخطيرة على نحو افضل

نيسان ١٩١٧ . في مدن وقرى روسيا تستيقظ الجماهير على حياة سياسية نشيطة . وها قد مضى شهران منذ اسقطت الثورة الديمقراطية البورجوازية السلطة المطلقة القيصرية . وتتعايش في البلاد جنبا الى جنب سلطتان ، الحكومة المؤقتة البورجوازية ، التي تواصل سياسة القيصر ، والسوفيئات التي تعبر عن مصالح الشفيلة . ويعود لهساتين السلطتين جيشان ، الاول ، جيش الملكية الذي يدعم ، مع شيء من التردد ، الحكومة المؤقتة ، في حين ان الجيش الاخر ، الجيش الاحمر الفتيد ، يتكون من فصائل قليلة العدد للحرس العمالي تميزت بكفاحيتها وبروحها الثورية .

في ذلك الوقت كان لينين في طريقه الى بطرسبورج عبر فنلندا . ولم يكن لينين ، القصير القامة ، المتواضع اللباس ، الطيب المعشر ، الذي تنبثق من عينيه المنثيتين ابتسامة مرحة وطيبة ، لم يكن يتميز بشيء عن ركاب القطار الآخرين . وحين شاهد رفاقه يتسمون لدى سماعهم حديث امرأة عجوز ، طلب بأن تترجم له أقوالها . وكانت المرأة الفنلندية تقارن بين جنود الجيش القديم والحرس العمالي قائلة بأن الاول كانوا يدافعون عن مصالح الملاكين ، اما الآخرون فيدافعون عن مصالح الفقراء . وقد قالت : « في الماضي كان الفقير يعاقب معاقبة قاسية اذا اخذ عود حطب دون اذن . اما الان فاذا صادفتم جندياً في الغابة

فسيساعدكم حتى في حمل رزمتكم . والان فلم يعد هناك مجال للخوف من الرجل الحامل للبندقية » .

في تشرين الثاني ١٩١٨ ، بعد مرور عام على انتصار الثورة التي كان قد جاء لينين لتولي قيادتها ، روى هذه النبذة للتلاميذ الضباط في الجيش الاحمر الذي أصبح بعد ذلك جيشا نظاميا ، والذي استأنف تقاليد الحرس العمالي . قال لينين معلقا على ملاحظة الفنلندية العجوز : « اعتقد ان من الصعب العثور على مكافأة افضل للجيش الاحمر » .

وكان لينين يريد بذلك أن يبرز الطابع الشعبي للجيش الجديد وان يشير الى النبالة الاخلاقية « للانسان الجديد الحامل للسلاح » .

### لا يقاتل الشعب الا مرغما

يتلخص افتراء من الافتراءات المفضلة لدى اعداء الاشتراكية في بث الاعتقاد بأن الشيوعيين هم دائما تقريبا انصار متحمسون للعنف والحروب . وكل لجوء للسلاح من قبل الشعوب المناضلة في سبيل حريتها يصور من هذه الزاوية باعتباره ثمرة « المكائد الشيوعية » و « العدوان الشيوعي » . وهذا ليس بالشيء الجديد . فمنذ زمن بعيد حاول اعداء الحكم السوفياتي ، في زمن ثورة اكتوبر والحرب الاهلية ( ١٩١٧ - ١٩٢٠ ) ان يحطوا ، بمثل هذه المزاعم ، من مكانة الدولة الاشتراكية الفتية . لكن مزاعمهم لا تصمد امام الوقائع التاريخية .

فمن المعلوم ان لينين والبلاشفة قد نادوا ، بعد ثورة شباط ١٩١٧ ، بانتقال الحكم سلميا الى السوفياتات التي كانت تمثل الشعب الثوري . وقد اقتضى الامر أن تحاول الرجعية تصفية هيئات الحكم الشعبي بقوة السلاح كي يدعوا لينين وحزبه البروليتاريا الى الرد بنفس الطريقة . ومع ذلك فان ثورة اكتوبر تظل من الانقلابات الاقل دموية التي عرفها التاريخ . ان الانتفاضة التي حدثت في بترسبورج ، لم تكلف بعد ذاتها سوى بضع عشرات من الضحايا .

ان الحرب العالمية التي كانت مستمرة آنذاك ، كانت تخطف



كل يوم حياة الوف وعشرات الالوف من المجندين . الا ان طلقات  
الطراد اورورا ضد قصر الشتاء في ٧ تشرين الثاني كانت ستكون  
طلقات القتال الاخيرة لو ان الحكومات البورجوازية للبلدان المتحاربة قبلت  
اقتراحات الجمهورية السوفياتية بصدد الصلح الفوري .  
كان العمل التشريعي الاول للحكومة العمالية والفلاحية في  
روسيا ، التي كان على رأسها لينين ، اصدار مرسوم السلام .  
وقد دعت في هذا المرسوم شعوب وحكومات جميع البلدان  
المتحاربة الى الشروع فورا في مفاوضات من اجل عقد صلح  
ديمقراطي وعادل ، دون الحاقات ولا غرامات .

وجاء في مرسوم الحكومة السوفياتية : « ان مواصلة هذه  
الحرب لمعرفة كيفية تقسيم الشعوب الضعيفة بين البلدان الاقوى  
والاغنى ، تلك الشعوب التي استولت عليها البلدان المذكورة ،  
هي برأي الحكومة اكبر جريمة ضد الانسانية . وتعلن الحكومة  
على رؤوس الاشهاد عن عزمها على ان توقع فورا شروط صلح  
يضع حدا لهذه الحرب ، شروط مساواة وعدل لجميع الشعوب  
دون استثناء ، وهي شروط سبق ان اشير اليها » .  
ان حكومات البلدان المتحاربة ، التي ابلغت هذه الاقتراحات ،  
لم تجدها حتى جذيرة بالجواب ، وأسرعت لاطلاق صفة الدعاية  
على هذه الوثيقة التي كانت تعكر مشاريعها الحربية .

وقد اعترف المؤرخون البورجوازيون الاكثر موضوعية  
بالاهمية الكبرى لمرسوم السلام . وقد ذكر الانكليزي كار ، في  
كتابه تاريخ روسيا السوفياتية ، ان مرسوم السلام الشهير ،  
هذه الدعوة الواقعية لعقد صلح ديمقراطي من قبل شعوب  
وحكومات البلدان المتحاربة ، كان العمل الهام الاول للسياسة  
الخارجية لحكومة العمال والفلاحين . وذكر الاميركي فيشر من  
جانبه انه ولو ان البلاشفة كانوا يريدون السلم لمصلحتهم ، الا  
انهم كانوا يسمعون جاهدين في نفس الوقت لوقف الحرب العالمية  
في كل مكان ، من اجل جميع الناس وفي جميع البلدان .

وقد شرح مرسوم السلام مبادئ التعايش السلمي التي  
لا تزال تسود حتى الان السياسة الخارجية للاتحاد السوفياتي .  
ان المصلحة الحيوية للعمال والفلاحين الذين استولوا على  
الحكم لم تكن خوض الحرب ، بل تسيير اقتصاد بلادهم سلميا ،



وتحسين ظروف حياتهم على نحو جذري ، لان هذه كانت في نهاية الامر الاهداف التي قاموا بالثورة من اجلها .

لم تلبث الاعمال الاولى للحكومة السوفياتية ان جسدت رغبتها في التعايش السلمي مع شعوب البلدان الاخرى . وقد دافع الحكم الجديد بثبات وحزم عن الاعتراف بالامشروط بحق جميع الشعوب ، الصغرى والكبرى ، في تقرير المصير ، وفي تكوين دولة مستقلة . وقد الفيت المعاهدات المجحفة المعقودة من قبل القيصر والحكومة المؤقتة ، ونبذت اساليب الدبلوماسية السرية وتقرر تسريح الجنود .

أي شعار كان يتوجب اختياره لروسيا السوفياتية ؟ لقد ورد هذا السؤال في جدول أعمال اجتماع حكومي حين كانت الحرب الاهلية والتدخل الاجنبي قد بدأ . فاقترح رسم سيف على الشعار . لكن لينين احتج احتجاجا شديدا وقال : « ما حاجتنا بالسيف ؟ نحن لسنا بحاجة لفتوحات . فسياسة الفتوح غريبة عنا بصورة مطلقة ، ونحن لا نهاجم بل نرد على الاعداء الداخليين والخارجيين ، وحربنا هي حرب دفاعية ، والسيف ليس شعارنا » . ان المنجل والمطرقة ، رمزي الجهد المبدع ، هما اللذان أصبحا شعار بلاد السوفيات .

في الاشهر الخمسة الاولى التي عقت انتصار الثورة ، لم تكن الجمهورية السوفياتية تحوز عمليا قوات مسلحة . فالفصائل العمالية ( الحرس الاحمر ) التي كانت اشبه بقوة ميليشيا ، لم تكن تضم سوى بضع عشرات الالوف من المقاتلين . بل ولم يكن موضع بحث حتى انشاء جيش نظامي ، حيث ان حكومة العمال والفلاحين لم تكن بحاجة اليه من اجل تحقيق خططها في السياسة الخارجية . وقبل انتصار الثورة ، كان لينين يقول منذ ذلك الوقت ان نزع السلاح هو المثل الاعلى للاشتراكية . فوحدات الميليشيا كانت كافية بصورة واسعة لحماية ملكية الدولة والمحافظة على الامن الداخلي . لقد أبدى الشعب الحاكم شهامة تجاه اعدائه الطبقيين ومضطهديه الازليين . ولم يكن يعتزم ابدا ان يتخذ بحقهم تدابير قمعية . وكانت نيته اشراكهم شيئا فشيئا في عمل الجميع واعادة تربيتهم بروح التفاني للمجموع ، للوطن الجديد . في الاشهر الاولى التي عقت الثورة ، اطلق سراح



عدد كبير من الجنرالات الرجعيين وكبار الموظفين بناء على وعد شفهي . لكن الاحداث اثبتت ان الكثيرين منهم اخلوا بوعدهم وتمادوا باعتمادهم على كرم الثورة .

ان الطبقات المستثمرة ( بكسر الميم ) التي انتزعت الثورة منها الحكم وقسما كبيرا من الملاكات المدنية والعسكرية التي كانت في خدمتها ، لم تكن تضر سوى الحقْد على الحكم السوفياتي . وبعد ان اتصلت بالاوساط الرجعية الاجنية ، اظهرت انها على استعداد لان تدفع اي ثمن مقابل عودة النظام السابق، ووصل بها الامر حتى التضحية بالمصالح الحيوية لروسيا والقبول بأن تصبح مستعمرة للراسمال الاجنبي .

كان للراسماليين الاجانب اسبابهم الوجيهة للتدخل في الشؤون الروسية . فقد حرم انتصار الثورة الروسية الصناعيين واصحاب المصارف في انكلترا ، وفرنسا ، وبلجيكا ، والبلدان الاخرى ، من اسواق تصريف ملائمة ومن مجال توظيفات جيدة لراسمليهم ، ومن مصدر للارباح الاسطورية . وكانت الحكومة السوفياتية قد الفت القروض التي عقدها القيصر والحكومة البورجوازية من اجل مواصلة الحرب ضد المانيا وحلفائها . وربما ان حكومات التحالف كانت لا تزال تشعر على نحو اكثر ايلاما ايضا بخسارة الجيش الروسي الكثير العدد الذي كان يجمد امامه ما لا يقل عن نصف الفرق الالمانية والنمساوية - الهنغارية . واخيرا فان القوى الرجعية الغربية كانت تخشى من انتقال عدوى الاحداث الثورية في روسيا الى بلدانها ذاتها . وهكذا فمن السهل ان نرى ان الاوساط الحاكمة في الدول الامبريالية لم تكن تفتقر الى الذرائع للتدخل في شؤون الشعب السوفياتي (١) .

الا يذكرنا كل ذلك بالاعمال الراهنة للمستعمرين وعملائهم

---

(١) كتب احد منظمي التدخل المسلح ، تشرشل ، في مؤلفه « الازمة العالمية »

الذي صدر في عام ١٩٢٩ ما يلي : « هل كان الحلفاء في حالة حرب مع روسيا السوفياتية ؟ كلا بالطبع . لكنهم كانوا يطلقون النار على جميع السوفياتيين الذين كانوا يصادفونهم . وكانوا بمثابة فاتحين في الاراضي الروسية . وكانوا يسلحون اعداء الحكومة السوفياتية ، ويحاصرون مرافقها ، ويفرقون سفنها ، ويثمنون بحرارة سقوطها ويضعون المشاريع الهادفة الى انهيارها .



في آسيا ، وفي افريقيا ، وفي اميركا اللاتينية ، في كل مكان تخوض فيه الشعوب المضطهدة كفاحا عادلا في سبيل تحريرها الوطني ؟

ثبتت تجربة التاريخ ان الامبرياليين والطبقات المستثمرة ( بكسر الميم ) الحاكمة ، لا تتخلى عن امتيازاتها الا بعد كفاح ضار . واذا كان من الصعب بالنسبة للشعب الاستيلاء على الحكم ، فانه لأصعب ايضا المحافظة عليه وتوطيده .

منذ الايام الاولى لثورة اكتوبر حاول اعداؤها اسقاط حكم العمال والفلاحين بواسطة الفتن المعادية للثورة والتحريض المعادي للسوفييات ، والحصار الاقتصادي والعزلة الدبلوماسية . وامام فشل هذه المحاولات أطلقوا الى الميدان الجيوش الجيدة التنظيم والجيدة التجهيز ، جيوش الحرس الابيض والحملات العسكرية الاجنبية . وقد اضطر الشعب السوفيياتي ، بالرغم من امانيه السلمية ، الى سلوك الطريق الدموي ، طريق الحرب . ووجدت البلاد نفسها محاطة بالحلقة النارية للجبهات العدو .

### **الوطن المتعرض للخطر ينادي حماته**

كان الشعب السوفيياتي أمام الخيار التالي : اما الاستسلام الى مشيئة أعداء الثورة والرزوح تكرارا تحت نير المضطهدين ( بكسر الهاء ) الروس والاجانب ، أو تعبئة كل قواه وكل موارده في سبيل الدفاع عن حريته واستقلاله . وأطلقت الحكومة السوفيياتية النداء التالي : « الوطن الاشتراكي في خطر ، هبوا للدفاع عنه ! » .

من الجلي ان قوات الحرس الاحمر الضعيفة لم تكن تكفي ابدا لخوض حرب اهلية ومجابهة التدخل الاجنبي . وكان ينبغي بأقصى السرعة ، تحت نيران العدو ، انشاء جيش نظامي قادر على حماية مكتسبات ثورة اكتوبر التي تواجه عدوا قويا لا يعرف الرحمة .

وفي ٢٨ كانون الثاني ١٩١٨ ، انشا مجلس مفوضي الشعب بمرسوم ، على اساس التطوع ، الجيش الاحمر ، جيش العمال والفلاحين . وفي نيسان طبق التعليم العسكري للشفيلة ، وفي ايار الخدمة العسكرية الاجبارية .



وفي مثل هذه الظروف التي لا يصدقها العقل ، وفي غمرة  
الفوضى الاقتصادية ، وعلى شفير الجوع ، ومع شعب ملء سنوات  
الحرب الطويلة انما شرع في انشاء التشكيلات الاولى للجيش  
الجديد . وكانت الملاكات الضرورية غير متوفرة ، لان ضباط  
الملكية كانوا يأتون بصورة رئيسية من الطبقات الثرية المعادية  
للثورة .

ومع ذلك فان جميع هذه المصاعب قد تم التغلب عليها .  
فنداء الحكومة السوفياتية للتطوع في الجيش الجديد اثار حماس  
الجماهير الشعبية ، والعمال ، والفلاحين الفقراء بصورة خاصة .  
ان التطوع الاختياري ، ثم التعبئة ، قد قدما مئات الالوف بل  
وملايين الجنود . وبالنسبة لكثيرين منهم امثال فرونزي ،  
وبوديني ، وبلوخر ، وتشاباييف ، وشتشورس ، وبارخومينكو ،  
فان ميدان المعركة قد كان بمثابة الاكاديمية العسكرية التي اتاحت  
لهم الوصول الى مسؤوليات الضباط بل وكبار الضباط . والى  
جانب ذلك ، وتحت مراقبة المفوضين السياسيين ، عهد بقيادات  
الى اختصاصيين في الجيش السابق ، اثبت الكثيرون منهم  
اخلاصهم . ونشير من بينهم الى ضباط كبار وجنرالات بارزين  
في الجيش القيصري امثال كامينيف ، وكارپيشيف ، وبونتش -  
برويفتش . تعمد الجيش الاحمر الفتى بالنار في شباط ١٩١٨  
حين شنت جيوش المانيا الامبريالية ، مستغلة مصاعب الجمهورية  
السوفياتية الفتية ، الهجوم انطلاقا من بلاد البلطيق باتجاه  
بطرسبورج . ان سلسلة من المعارك التي جرى خوضها من  
١٨ الى ٢٥ شباط قد اوقفت التقدم الالمانى في مصبي النارفا  
والبتسكوف . وتخليدا لذكرى هذه المعارك الاولى ضد الغزاة  
والنهوض الجماهيري للشعب ضد العدو ، يحتفل كل عام في  
٢٣ شباط ، بيوم الجيش والبحرية السوفياتيين .

لكن ذلك لم يكن سوى الاصطدام الاول ولم يكن واحدا من  
اعنف الاصطدامات . وفي ١٩١٨ - ١٩٢٠ ، اضطرت الجمهورية  
السوفياتية لمجابهة هجمات عديدة هامة اشترك فيها ٧٠٠ ألف  
رجل عباثهم الثورة المعاكسة الداخلية وحوالي ٤٠٠ ألف جاء بهم  
المتدخلون من ١٤ بلدا من البلدان الرأسمالية . وقد كانت هناك  
ايام حرجة كان فيها العدو على مقربة من قلب الجمهورية موسكو

وحيث كان اكثر من ثلاثة ارباع روسيا في ايدي الثورة المعاكسة .  
وقد صمد الشعب السوفياتي بالرغم من كل شيء وتغلب على  
كل المحن وانتصر .

كثيرون من المؤرخين والصحفيين الاجانب لا يعرفون حتى  
الان كيف ينبغي تفسير انتصار روسيا المنهكة المصابة بالخراب  
على قوات متفوقة جدا . وهم لا يدركون كيف ان الجيش الاحمر  
الفتي ، السيء التسليح ، والمدرّب تدريباً بسيطاً جداً ، قد  
استطاع التغلب على قوات مجهزة تجهيزاً رائعاً ويقودها ضباط  
خيسرون .

ان المؤرخين البورجوازيين الذين لا يهمهم كثيرا القاء الضوء  
على الاسباب الفعلية لـ « المعجزة » يفضلون عادة الاشارة الى  
« مؤاتاة الظروف » و « الدعاية الماهرة للمفوضين الحمر » .  
فهل هم على حق ؟ لا يتعلق الامر في الحقيقة بتفسير واقع  
منعزل هنا ، حيث الحماس المؤقت لجماهير الجنود يكفي لاجاد  
القرار الحاسم .

ان الاسباب الحقيقية لانتصارات جمهورية السوفيات تكمن  
في واقع ان مقاتلي وملاكات الجيش الاحمر ، والانصار ، وجميع  
السوفياتيين كانوا يؤيدون اهداف حكم العمال والفلاحين  
ويستخدمون ، حتى الامكانية الاخيرة ، للدفاع عنه . وكانوا قد  
خبروا الاهداف الرجعية والشرهة لاعداء الثورة الروسية .  
فسياسة السلم ، والصداقة بين الشعوب ، والمشاريع الانشائية  
للحكومة السوفياتية واهتمام هذه الحكومة بالمصالح الحيوية  
للاكثرية الساحقة للشعب ، كل ذلك كان يكسب ثقة الجماهير ،  
ويصهر وحدتها في النضال في سبيل حكم السوفيات ، ويولد  
الشجاعة ، وبطولة الجماهير ، وروح التضحية .

ثبتت تجربة الثورة والحرب الاهلية في روسيا ان شعبا  
وجيشا يكافحان باسم اهداف سامية وعادلة ، لا يقلبان ، وان  
المنظمة العسكرية وقوى الشعب الذي انشأ هذه المنظمة ، تزداد  
بصورة ملحوظة حين تقودها يد امينة وحين يوجد على رأسها  
حزب مجرب ، ومتمرس ، ومعتاد على المعارك السياسية ، ومتفان  
لشعب ، بدرجة الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي . الذي  
انشأه لينين .



فهذا الحرب هو الذي انقذ روسيا من الكارثة ومن الاستعباد من قبل القيصر او الاجنبي (١) .

كانت سياسة الحكم السوفياتي وافكار الثورة شيئا سهل الادراك ومفهوما بالنسبة للاكثرية الساحقة من سكان روسيا . وهذا ما يشتهه التفاني الذي أبدوه في النضال سواء على الجبهة او في المؤخرة .

وقد اضطر الجنرال الانكليزي كنوكس ، الذي ساعد بصفة مستشار أحد قادة جيش كولتشاك ، اضطر لان يكتب في عام ١٩١٩ الى حكومته ما يلي : « يمكن سحق جيش يتألف من مليون بلشفي ولكن اذا كان الـ ١٥ مليون روسي لا يريدون البيض بل الاحمر ، فمن الحماسة مساعدة البيض » .

وبالرغم من ان انكلترا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة ، والبلدان الاخرى قد قدمت حتى النهاية اوسع مساعدة لها الى البيض ، فمع ذلك فان الجيش الاحمر هو الذي انتزع النصر النهائي ، مستندا الى الشعب بأسره .

ومن وجهة النظر هذه يجدر الرجوع الى راي شولفين عضو دوما الدولة السابق والرجل السياسي البارز في روسيا القيصرية . فبعد العودة الى ماضيه واستعراضه احداث الحرب الاهلية ، وجد شولفين الشجاعة لان يعترف : « وهكذا فقد كنا مخطئين . فهذا الشعب لم يكن يريد نيل « تحرره » من ايدينا . وبعد ان تذكرت ذلك ، فان جهودنا من أجل قلب الحكم السوفياتي قد بدت لي مفاجئة ومضحكة » . هذا الاعتراف قد ادلى به شولفين في « رسالة مفتوحة الى المهاجرين الروس » ، نشرت

---

(١) كتب الصحفي الاميركي جون ريد ، الذي كان قد شهد في بطرسبورج انتصار ثورة اكتوبر ، كتب في اول كانون الثاني ١٩١٩ في مقدمة مؤلفه « ١٠ ايام هزت العالم » : « ان البلاشفة الذين هم ابعد من ان يكونوا قوة مدمرة ، كانوا ، كما يبدو لي ، في روسيا الحزب الوحيد الذي يحوز برنامجا انشائيا ويستطيع فرض هذا البرنامج على البلاد . ولو انهم لم ينتصروا في الوقت الذي فعلوا فيه ذلك ، فليس هناك أدنى شك بالنسبة لي ان جيوش المانيا الامبريالية كانت ستدخل بطرسبورج وموسكو في كانون الاول وانه كان سيكون هنالك اليوم ، قيصري بصول ويجول في روسيا .

في خريف ١٩٦٠ في صحيفة روسكي - غولوس ، الصحيفة الروسية الصادرة في نيويورك .

ان السوفيياتيين في نضالهم ضد أعداء الثورة لم يكن في وسعهم الاعتماد فقط على قواهم الخاصة . الا ان الطابع الشعبي للثورة الروسية ، والسياسة الخارجية السلمية للحكومة السوفياتية ، قد ايقظا عطف ملايين الناس في مختلف بلدان العالم . ونجد بادرة من ابرز بادرات التضامن الاممي للشفيلة مع جمهورية السوفيات في واقع ان الجيش الاحمر كان يضم الوف المتطوعين الاجانب : مجريين ، وصربيين ، وتشيكيين ، وسلوفاكيين ، وصينيين ، والمانا ، وكوريين ، وبولونيين ، وبلغاريين الخ . ان بعض هؤلاء المكافحين الامميين قد خلدوا اسماءهم بشجاعتهم وبطولتهم : الصربي اوليكو دونسك ، والتشيكي جاروسلاف - هاسيك ، والمجري مات زالكا . وكثيرون غيرهم . وقد ضحى الكثيرون منهم بحياتهم في المعركة . ان السوفيياتيين العارفين للجميل لن ينسوا ابدا مآثرهم وتضحياتهم .

وفي صراع لا يرحم مع أعداء اقوياء ووسط مصاعب لا يصدقها العقل انما نشأ وترعرع ونضج الجندي السوفياتي ، ابن شعبه البار .

ان الطابع الشعبي لجيش الاتحاد السوفياتي يجد تعبيراً له في المنشأ العمالي والفلاحي لجنوده ولضباطه ، وفي تفانيهم دون تراخ لقضية الشفيلة ، وفي الوحدة الوثيقة بين الجيش والشعب ، وفي وحدة أهدافهم ، وفي حالاتهم النفسية وامانيهم .

« انا ، ابن الشعب الشفيل ، لدى دخولي الى صفوف الجيش الاحمر ، جيش العمال والفلاحين ، اتعهد على رؤوس الاشهاد ... » ، هذه الصيغة للقسم العسكري تعكس بوضوح المنشأ الاجتماعي لجيش الشعب المظفر .

### **الجندي السوفياتي عشية الحرب العالمية الثانية**

في نهاية عام ١٩٢٠ ، كان القسم الاساسي من قوات البيض والمتدخلين قد صفى . وفي عام ١٩٢٢ ، بعد طرد العسكريين اليابانيين من الشرق الاقصى السوفياتي تحررت كامل اراضي



روسيا السوفياتية من الاعداء . ان البلاد التي نضبت دماؤها ،  
قد حصلت اخيرا على امكانية تكريس نفسها لمهام سلمية . ان  
اللوحة التي كانت تبرز امام مكافحي الجيش الاحمر لدى عودتهم  
الى مدنهم وقراهم كانت لوحة محزنة بصورة عميقة . وكان كل  
شيء مقلوبا راسا على عقب . فأكثرت المعامل والمصانع قد  
توقفت . وقد اغرقت المياه المناجم ، وكانت النقلات في مجملها  
غير صالحة للعمل . وكانت الزراعة متلاشية . ونتيجة لذلك ،  
فان قسما كبيرا من المناطق الاكثر خصبا في البلاد قد عرفت في  
عام ١٩٢١ محصولا رديئا جدا . وقد ساد الجوع . فالمنتجات  
الضرورية جدا كالخبز ، والملح ، والنفط ، وحتى الكبريت كانت  
مفقودة . ان التيفوس ، الملازم الطبيعي للجوع ، كان يودي بحياة  
انوف الاشخاص .

وقامت الحكومة السوفياتية بتسريح عام لخمسة ملايين  
رجل كانت تحتفظ بهم حتى ذلك الوقت في خدمة العلم .  
وقررت تخفيض جيشها بنسبة عشر مرات على نحو يعكسها من  
استعادة القسم الاكثر قدرة على العمل بين السكان الذكور .  
هل كان بوسع الاتحاد السوفياتي ان يسرح بصورة كاملة  
جيشه بعد الحرب الاهلية ؟ ان ذلك كان من الممكن ان يكون بمثابة  
فرج ملحوظ بالنسبة للشعب الذي كان يعاني مصاعب اقتصادية  
خطيرة ويفتقر الى ملايين الاذرع . ولكن بالرغم من تطلع الاتحاد  
السوفياتي الصادق الى نزع السلاح ، فلم يكن يستطيع ان يحل  
من جانب واحد قواته المسلحة . وكانت البلاد محاطة من كل  
جهة بالدول العدو التي لم تكن تخفي حقدتها على الاشتراكية .  
وكان الهدوء ابعد من ان يكون سائدا على الحدود التي كان طولها ،  
على البر فقط ، يزيد عن ٢٠ الف كلم . وكانت تجري فيها احيانا  
كثيرة اصطدامات واحتكاكات . وقد ضاعف الجواسيس  
والمخربون نشاطهم ضد الاتحاد السوفياتي . وقد احتشد الوف  
المهاجرين البيض ، اللاجئين الى البلدان المجاورة ، في منظمات  
شبه عسكرية وكانوا يتحينون الفرصة للثأر . وكان يشجعهم على  
ذلك الاتجاه المعادي للسوفيات في السياسة الخارجية للدول  
الراسمالية الرئيسية التي كانت تسعى لعزل الاتحاد السوفياتي  
ولم تكن على عجلة من امرها ابدا للاعتراف رسميا بجمهورية

السوفييات . فالولايات المتحدة مثلا انتظرت حتى عام ١٩٣٣ كي تقيم علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي .  
وكان على الشعب السوفياتي ان يعيش ويعمل بشكل ما ،  
قلعة في حالة حصار .

وهذه المصاعب لا يمكن أن تفهمها جيدا الا شعوب البلدان التي سلكت مؤخرا طريق الاستقلال الوطني والتي ناضلت في سبيل الدفاع عنه ضد الرجعية الداخلية ، والتخلف الاقتصادي ، ومحاولات المستعمرين ( بكسر الميم ) المستمرة لعرقلة بناء حياة جديدة . الا انها تتمتع مع ذلك بميزة انها لم تعد وحيدة كما كان الحال آنذاك بالنسبة للاتحاد السوفياتي . وهي تعلم انها تستطيع الاعتماد ليس فقط على التأيد المعنوي بل ايضا على المساعدة المادية للشعوب التي سبق ان تحررت ، وبالدرجة الاولى على شعوب البلدان الاشتراكية .

وفي مثل هذا الوضع الداخلي والخارجي المتوتر الى اقصى حد ، شرع السوفيياتيون في تحقيق مشروعهم الجبار للتحويلات الاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية . وكان لينين قد وصف على النحو التالي العناصر الرئيسية لهذا المشروع :  
- تصنيع البلاد ، وانشاء صناعة متطورة ، صناعة  
انشاءات ميكانيكية ؛

- تجميع قطع الارض الفلاحية الصغيرة القليلة الانتاجية في تعاونيات مزودة بالماكينات الحديثة ؛  
- الثورة الثقافية ، تطوير العلم العام .

وقد لمس بقوة تأخر البلاد وكذلك تبعيتها البالفة القدم تجاه البلدان الصناعية . ومع ذلك فقد استطاع السوفيياتيون ان يحرزوا في مهل قصيرة جدا نجاحات ادهشت العالم . ولم يكتفوا بالعودة الى مستوى الانتاج الصناعي والزراعي لما قبل الحرب ( الذي كان مستوى بلاد زراعية ومتأخرة ) بل اعطوا الى مجموع القطاعات ( الى الصناعة الثقيلة بالدرجة الاولى ) زخما شديدا الى حد انهم لم يلبثوا ان تمكنوا من التحرر بصورة كاملة من التبعية التكنيكية والاقتصادية تجاه البلدان الاخرى وتوفير ظروف تحسين جذري لمستوى الحياة المادي للشعب والطاقة الدفاعية للبلاد .

ونظرا لان الهدف الاخير ظل حياة افضل للناس ، فمن



الجلبي ان قاعدة مادية وتكنيكية متينة كانت تتيح ايضا تعزيز دفاع البلاد على نحو حاسم ، وتزويد جيشها بالمعدات الحديثة وزيادة كفاءتها .

ماذا كانت منجزات الشعب السوفياتي قبل الحرب ؟ اليكم بعض الارقام البليغة :

انتاج :	١٩١٣	١٩٤٠
	( بملايين الاطنان )	
فولاذ	٤٦٣	١٨٦٣
حديد صب	٤٤٢	١٤٦٩
نفط	١٠٦٣	٣١٦١
فحم	٢٩٤٢	١٦٥٦٩
قمح	٨٠٦١	٩٥
قطن	٠٠٧	٢٠٢
طاقة كهربائية (بمليارات الكيلوواط)	٢٠٠	٤٨٠٣

اما من حيث الانشاءات الميكانيكية ، فقد ازداد انتاجها خمسين مرة .

ان الارقام التي أعطيناها تتيح تحديد القاعدة التكنيكية والاقتصادية التي كان يحوزها الاتحاد السوفياتي وجيشه في الوقت الذي أرغمهما فيه النازيون على الدخول في الحرب . وفي وقت الغزو ، كان الشعب السوفياتي قد سبق أن تسنى له الوقت لتكوين القطاعات الاساسية للصناعة الحربية الحديثة : انتاج الطائرات ، والدبابات ، وقطع المدفعية ، والسفن . وكان تطور البحث بضمن من جانبه ايجاد نماذج جديدة من الطائرات ، والسفن ، والدبابات ، والمدافع ، ومدافع الهاون ، والاسلحة انفرادية ، وأجهزة الاتصال والقيادة .

وحين تلقى نظرة على الطريق الذي تم اجتيازه ، فليس من الصعب تصور ما كان سيحل بشعوب الاتحاد السوفياتي وجميع أولئك الذين ساعدهم السوفياتيون خلال الحرب العالمية الثانية ، لو لم يكن تحت تصرف الاتحاد السوفياتي اقتصاد متطور ، وجيش كفاحي ، واحتياطيات كافية لتعويض الخسائر المستمرة الناتجة عن الحرب .

واذا كان هناك من شيء جلي بالنسبة للسوفيياتين ، فهو ان زيادة القدرة الاقتصادية والعسكرية لوطنهم قد اظهرت بوضوح مزايا النظام الجديد ، الذي يجهل فوضى الانتاج والازمات الاقتصادية ، والذي يقوم على تنظيم مبرمج للاقتصاد ويتطور في مصلحة الشعب بأسره . وليس ذلك جدلا تجريديا بل ضرورة حيوية أثبتتها دروس التاريخ القاسية (١) .

لكن ذلك ليس سوى أحد جوانب المسألة التي تعنيها . والجانب الآخر يتكون بالتأثير الذي مارسه التحولات الاجتماعية، والاقتصادية ، والثقافية التي طرأت على السكان السوفيياتين ، وبالتالي على محاربي الجيش .

لنأخذ مثلا العلاقات بين الامم ، التي هي شديدة الاهمية بالنسبة لدولة متعددة القوميات مثل الاتحاد السوفيياتي . فالنظام القيصري كان يضطهد الاقليات ويبقيها في وضع اقتصادي وثقافي أدنى .

ومنذ الايام الاولى لوجوده ، أعلن الحكم السوفيياتي ، ووضع موضع التطبيق ، مبدأ المساواة التامة بين جميع امم وشعوب الاتحاد السوفيياتي . وقد شرع بتكوينها بروح الصداقة ، والمعونة الاخوية ، والوحدة في عائلة موحدة لشعوب تبني معا حياة جديدة . لا وجود في الجيش السوفيياتي لمسألة قومية . فعسكريو امة قومية أو عرق ، جميعهم مواطنون لبلادهم على قدم المساواة . ويمكن أن يعهد اليهم بأية قيادة من القيادات دون تمييز . وجميع الجنود والضباط لديهم تمسكاً نفس الفرص في أن يقبلوا في المدارس والاكاديميات العسكرية . ويكفي من أجل ادراك ذلك ان يدرس الشكل الذي تعطى فيه حسباً الرتب والاوزمة . ان الانتشار الكامل للتعليم لدى الشعب السوفيياتي ( مقابل

---

(١) اشار جواهر لال نهرو في كتابه « اكتشاف الهند » ان المثال المحفز للشعب السوفيياتي في الحرب العالمية الثانية ، « والقوة والوحدة اللتين ابداهما ، تجد تفسيراً لها دون شك في افضليات النظام الاجتماعي والاقتصادي الذي ضمن التقدم على نطاق واسع في حقل الانتاج والاستهلاك المبرمج ، والذي حث التطور وتطبيقات العلم ، والقي صوما على الينابيع الجديدة للمهارة والقيادة ، والذي ضمن قيادة رائعة للبلاد » .



اربعة اخماس السكان من الاميين فسي ظل الحكم القيصري ) ،  
والتطور الواسع للتعليم الثانوي والعالي ، وتحسين معارف العلوم  
الانسانية والتكنيكية للملايين الشبان الذين أصبحوا قادرين اخيرا  
على ارواء تعطشهم الى الثقافة والمتعة الفنية ، ونشر التربية  
البدنية والرياضة ، كل ذلك رفع على نحو ملموس مستوى التكوين  
العام والتخصص للمجندين الشباب . ان المجندين كانت لديهم  
تسهيلات اكبر لتعلم استعمال الاسلحة والمعدات الحديثة ، ولتمثل  
المعارف الضرورية .

ان الجيل الجديد الذي نشأ بعد ثورة اكتوبر قد ربي  
بروح التفاني لوطنه السوفياتي ، وبالنزعة الانسانية والاحترام  
تجاه شعوب البلدان الاخرى ، ولقن بأن لا يبخل بأية تضحية  
باسم الاهداف المشروعة .

وهذا هو في الواقع الموقف الذي اتخذته جنود الجيش  
الاحمر لدى دفاعهم عن الحدود السوفياتية ضد العسكريين  
اليابانيين في معارك خاسان ( ١٩٣٨ ) ، ونهر خالخين - غول  
( صيف ١٩٣٩ ) ، واثناء الحرب السوفياتية الفنلندية في شتاء  
١٩٣٩ - ١٩٤٠ .

وكما ان الوف الاميين كانوا قد جاؤوا لمساندة السوفياتيين  
اثناء الحرب الاهلية ، فقد هرع الجنود السوفياتيون بدورهم  
لنجدة شعوب تخوض معركة عادلة ضد الفزاة .  
ان شعورا بالتضامن الانساني هو الذي املى مثلا السلوك  
على المتطوعين السوفياتيين الذين حاربوا بجانب الشعب الاسباني  
في عام ١٩٣٦ ضد الفاشية .

بل وحتى قبل بداية الحرب العالمية الثانية ، فان سوفياتيين  
عديدين ، وبصورة خاصة طيارين ، قد انضموا الى الشعب الصيني  
المناضل ضد المحتلين اليابانيين .

وفي مدينة وو - هان ، على ضفاف نهر اليانغ - تسي ،  
شيد صرح في حديقة التحرر ، يحمل بأحرف من ذهب الكلمات  
التالية : « الى متطوعي القوات الجوية السوفياتيين ، الذين ماتوا  
ميتة الابطال دفاعا عن حرية الصين » . ويفطي هذا الصرح ضريح  
١٥ طيارا سوفياتيا عمر اكبرهم ٣١ عاما واصغرهم ٢٢ عاما .  
وقد اباد الطيارون السوفيات في سماء الصين الشقيقة

مئات الطائرات العدوّة وانقذوا بذلك حياة الكثيرين من الصينيين الذين كانت تستهدفهم أعمال القصف البربرية للطيران الياباني .  
ان قيمة السوفيياتيين كرجال وكمحاربين تجلت بصورة خاصة في الحرب العالمية الثانية . فلاحداث التي سبقت النزاع اتاحت التنبؤ بان الجنود السوفيياتيين سيبرزون فيه بمثابة « الانسان الجديد تحت السلاح » ، الذي تجتمع لديه المزايا العسكرية الصرف مع وعي الواجب الاخلاقي والاحساس بالكرامة الانسانية .

## من موسكو الى برلين

فلنراجع بعض صفحات التاريخ المهمة للحرب العالمية الثانية

### الفاشية هي الحرب

ان الهتلريين المتعطشين للسيطرة العالمية والراغبين ، بفارغ الصبر ، في اقامة « نظامهم الجديد في كل مكان في أوروبا ، لم يلبثوا ، بعد وصولهم الى الحكم ، ان شرعوا في اعداد وشن حروب عدوانية . ولن نتوقف كثيرا على بحث مختلف الاسباب والظروف التي قررت نجاحات الفاشيين بالرغم من انه يوجد امام الشعوب اكثر من درس يجب ان تستخلصه من ذلك . وسنكتفي بذكر بعض الوقائع :

أذار ١٩٣٨ . اعطت عملية أوتو الى النازيين النمسا التي ابتلعوها بواسطة « الانشلوس » .

خريف ١٩٣٨ شرعت المانيا في تحقيق المشروع الاخضر : الهجوم العسكري على تشيكوسلوفاكيا . وقد اتاح لها التفاهم الذي توصلت اليه في مونيخ مع انكلترا ، وفرنسا ، وإيطاليا ان تلحق ، دون طلقة واحدة ، السويدية ، ثم في اذار ١٩٣٩ ، ما تبقى من البلاد . في اول ايلول ١٩٣٩ سجل غزو بولونيا بداية الحرب العالمية الثانية . وقد وقع الشعب البولوني في قبضة المعتدين . ولم يتلق أية مساعدة فعالة من انكلترا ، وفرنسا اللتين وجدتا نفسيهما آنذاك منجرتين الى الحرب بفعل معاهدات التحالف التي عقدتاها .

١٩٤٠ احتل النازيون الدانمارك والتسروج ، ثم هولندا ،



وبلجيكا ، وفرنسا . وعلى هذا النحو اخضعوا لنيرهم بضع عشرات الملايين الاخرى من الاوروبيين .

وفي ربيع ١٩٤١ جاء دور اليونان ويوغوسلافيا . ان الزعماء الهتلريين الذين أسكرتهم نجاحاتهم تجاه بلدان ضعيفة ، فقدوا صوابهم . وقد أصبح تحت تصرفهم بعد ذلك قدرة اقتصادية وعسكرية هائلة ، واحتياطيان كبيرة بالأسلحة والمعدات ، وموارد في الرجال في اوروبا الوسطى كلها . وكان الحكام الرجعيون في المجر ، ورومانيا ، وفنلندا قد وقفوا الى جانبهم .

واليكم بعض الارقام التي تبين بالتحديد طاقات انتاج المانيا الهتلرية عشية العدوان ضد الاتحاد السوفياتي :

### المانيا لوحدها مع الدول التابعة والبلدان المحتلة

٢٩.٠٠	٧.٠٢	السكان ( بالملايين )
		بد عاملة صناعية
٢٨٠.	١.٠٠	( بملايين السكان )
٤.٠٠٠	٢٥٧.٤	قمح ( بملايين الاطنان )
٧٠٥	.٠٩	نפט ( بملايين الاطنان )
٣١.٨	٢.٠٨	فولاذ ( بملايين الاطنان )

### مشروع بربروس

بعد استسلام فرنسا فان الهدف المباشر للسياسة الخارجية والعسكرية لالمانيا الهتلرية ، أصبح اعداد غزو الاتحاد السوفياتي . ان المشاريع التي طالما جرى التبجح بها حول النزول في انكلترا قد أجلت الى اجل غير مسمى . وتلقت القيادة العليا الالمانية الامر بدراسة مشروع ستراتيجي للحرب ضد الاتحاد السوفياتي . وقد اشتدت حركات القسوات وشكلت فرق جديدة ، وخاصة فرق مدرعة .

وفي ١٨ كانون الاول ١٩٤٠ ، كان المشروع جاهزا ، وقد اعطي اسم بربروس المستعار ، وهو لقب امبراطور المانيا فريديريك الاول ( ١١٢٣ - ١١٩٠ ) الذي اشتهر بحملاته الدموية التي كانت

أبعد من أن تكون دائما لمصلحته .

ان التوجيه رقم ٢١ ، الذي كرس بموجبه القيادة العليا الالمانية مشروع بربروس ، كان ينطوي على ما يلي : « على القوات المسلحة الالمانية ان تكون مستعدة للقضاء على روسيا انسوفياتية في حملة سريعة تشن قبل نهاية الحملة ضد انكلترا » . وقد كانت الفكرة الاساسية لمشروع العمليات كما يلي : « ان جماهير الجنود الروس المرابطين في القسم الغربي من روسيا يجب ان يسادروا بطائفة من العمليات الجريئة باستخدام أعمال الخرق العميقة للمدركات... والهدف النهائي للعملية الاحتماء من روسيا الاسيوية على خط ارخنجلسك - فولغا » .

واليكم كيف اعتزمت هيئة الاركان الفاشية شن الحرب ضد الاتحاد السوفياتي . فقد كان اقل ما هدفت اليه هو ابادة الاتحاد السوفياتي . وقد تبجح هتلر بذلك علنا في مؤتمر مع قادة الجيش النازي اذ قال : « يكفيننا سحق الجيش الروسي والاستيلاء على لينينغراد ، وموسكو ، والقفقاس . ويتوجب علينا محو هذه البلاد من الخارطة وابادة شعبها » .

وكان قد شرع قبل وقت طويل بالاعداد السياسي والمعنوي للعدوان . ان هتلر وانصاره مع تسميتهم انفسهم بـ « الوطنيين الاشتراكيين » من اجل خداع الجماهير على نحو افضل ، كانوا في الواقع اعداء الاء لكل اشتراكية . وقد كانوا يشعرون بحقد شديد تجاه اول دولة اشتراكية في العالم ، تدعمهم في ذلك قوى الرجعية العالمية . ومن اجل تبرير تعطشهم الى الفتوحات ، لجأ النازيون الى نظرية تجعل من الآريين عنصرا أعلى ، ومن السلافيين اناسا من جنس أدنى ، لا يصلحون الا ليكونوا عبيدا للالمان . وقد اعلن كتاب كفاحي صراحة اذا كان الامر يتعلق باستعادة اراض جديدة في أوروبا ، فيجب ان يكون ذلك بصورة رئيسية على حساب روسيا . فالرايخ الالمانى الجديد يجب ان يوجه في هذه الحالة حملاته على طول الطريق المرسوم منذ زمن بعيد من قبل الفرسان التوتونيين .

ويمكن معرفة المصير الذي أعده الهتلريون لشعوب آسيا وافريقيا ، وفقا لعزمهم في التوغل ، بعد كسب الحرب الصاعقة ضد روسيا ، في الشرقين الأدنى والوسط ، وفي افريقيا وحتى

في الهند . وقد كانوا واثقين من النصر على الاتحاد السوفياتي الى حد انه حتى قبل بداية الحرب ، وضعوا توجيهها خاصا تحت رقم ٣٢ ، أطلقوا عليه اسم : « الاستعداد للفترة التي ستعقب تحقيق عملية بربروس » . وكان هذا التوجيه ينص على الاستيلاء على جبل طارق وارسال حملة عسكرية آلية عن طريق بلاد ما عبر القفقاس في اتجاه الخليج ، والعراق ، وسوريا ، ومصر .

وقد شجع هتلر ومعاونوه المباشرون الجيش بالاعراب عن « ايمانهم المطلق » بانتصار سريع وسهل نسبيا .

وفي ٥ كانون الاول ١٩٤٠ ، في مؤتمر للملاكات العليا الالمانية ، أعلن هتلر دون موارد : « ينبغي توقع أن يمنى الجيش الروسي ، لدى أول صدمة من قبل القوات الالمانية ، بهزيمة أعظم أيضا من هزيمة الفرنسيين في عام ١٩٤٠ » .

في حديث مع الدبلوماسي الياباني ماتسوكا ، أعلن وزير خارجية المانيا ريبنتروب ، في ٢٧ اذار ١٩٤١ : « ان جميع الناس على ثقة في المانيا بأن الحرب مع روسيا ستنتهي بالانهيار النهائي للجيش الروسي وتدمير النظام السوفياتي » . وقد تجاوب معه الجنرال جودل في مؤتمر عقد في برخسفادن قبل شن العمليات بمدة قصيرة اذ قال : « بعد ثلاثة أسابيع من الهجوم فان كل شيء سينهار ككومة من البطاطا (١) » .

لم يمنع الهتلريين ميلهم للمغامرة واستصغارهم لشأن القوات السوفياتية من الاستعداد بعناية شديدة للعمليات في الشرق . ومن أصل ٨ ملايين رجل كانوا تحت تصرفهم وقت شن الاعمال العسكرية ، كانوا يعتزمون أن يقذفوا بـ ٥ ملايين منهم ضد الجيش السوفياتي ، أي ١٥٣ فرقة من أصل ٢١٤ فرقة

(١) أعربت شخصيات سياسية وعسكرية عديدة غربية هي أيضا عن شكوكها في طاقة المقاومة لدى الجيش السوفياتي وتنبأت بهزيمته . وهكذا فقد كتب ونستون تشرشل في مذكراته : « ان جميع المسؤولين العسكريين تقريبا كانوا يؤيدون وجهة النظر القائلة بأن الجيوش الروسية ستهزم وانه سيباد القسم الاكبر منها » . وقد خلص مؤتمر من قادة العسكريين الاميركيين اشترك فيه مارشال ، الى الاستنتاج بأن الاتحاد السوفياتي سيسحق « في ظرف شهر كحد أدنى ، وفي ظرف ثلاثة اشهر كحد أقصى » . وقد كان هذا الرأي موضوع برفية لوكالة اسوشيتدبريس .



كانت ستتنضم اليها ٣٧ فرقة من الدول التابعة ، المجر ، ورومانيا . وفنلندا . وهكذا فان الاتحاد السوفياتي كان سيجابه ما مجموعه ١٩٠ فرقة .

ان جيش الفزو المقسم الى ثلاث مجموعات كان عليه ان يضرب في ثلاثة اتجاهات : اتجاهات لينينغراد ، وموسكو ، والجنوب ، وان يضع خارج المعركة القسم الاكبر من القوات السوفياتية وان ينهي الحرب قبل الشتاء .

### بداية الحرب

في مساء يوم السبت ، ٢١ حزيران ١٩٤١ ، كان عمال المطبعة ينضدون احرف افتتاحية عدد « البرافدا » الذي سيصدر في اليوم التالي ، الكرسة للمدرسة . الجنائن والحدائق العامة اخذت تمتلئ بالشبان ، وسط الموسيقى والقهقهات . وكان من الممكن ان يشاهد بين الجمهور المبتهج عدد كبير من الجنود والضباط بنباس الاستعراض . وكان الفلاحون يستعدون لجمع محصول ووير جدا . وكان شغيلة بلاد السوفيات ، شأنهم دائما ، لا يفكرون بغير السلم .

ان قوات التفطية لم تكن تعلم ، شأنها شأن السوفياتيين الاخرين ، ان هتلر قد استدعى في اول ايار ١٩٤١ سفير اليابان في برلين ليلفه بأن المانيا ستهاجم الاتحاد السوفياتي في ٢٢ حزيران . ولم يكونوا يعلمون ايضا بأن موظف الاستخبارات السوفياتي الشهير ريشار سورج ، كان قد ابلغ في ١٢ ايار موسكو ، بواسطة الشيفرة من طوكيو ، ما يلي : « لقد حشدت ١٧٥ فرقة على الحدود السوفياتية . سيبدأ الهجوم على الجبهة كلها في ٢٠ حزيران . الهدف الرئيسي موسكو » .

وكانوا يجهلون بأنه في نفس ذلك المساء من يوم السبت ، من ضفاف المحيط المتجمد الشمالي الى ضفاف البحر الاسود ، كان الويهر ماخت ينجز استعداداته الاخيرة . ان الجنود والضباط الالمان ، الذين انتزعوا منذ زمن طويل من بين عائلاتهم ، والذين اسكرتهم انتصاراتهم السهلة ، والذين هيجتهم الدعاية النازية ، كانوا متشوقين للاندفاع الى المعركة . وكانوا قد وعدوا بانتصار سريع وغنائم وفيرة . وقد اقنعوا بأن الحرب ضد الاتحاد

السوفياتي ستكون نزهة تعود عليهم بالثروة والمجد . وكانوا على استعداد لخوض المعركة .

في ٢٢ حزيران في الساعة الثالثة والنصف صباحا ، أفرغت مئات القاذفات حمولاتها فوق منسك ، وكيف ، وتوناس ، وسمولنسك ، وسيباستوبول ، وموغيليف . وقد توغلت ألوف الدبابات داخل الاراضي السوفياتية . وأطلقت المدفعية نيرانا جهنمية على وحدات الحدود والاحتياطيات الاولى . ووسط الموسيقى العسكرية أعلنت اذاعة برلين بفخفة بداية « الزحف العظيم نحو الشرق » ، و « الصفحة المجيدة الجديدة من تاريخ الرايخ الثالث » .

... الحرب ! سرت هذه الكلمة الرهيبة بسرعة البرق في مدن وقرى بلادنا ممزقة قلب ملايين السوفياتيين ، قلب جميع أولئك الذين كانوا يعلمون أي خطر تعنيه بالنسبة لحياتهم ، ولحريتهم ، ولاستقلال دولتهم التي أسسوها بذلك القدر من المشاق .

وكان ذلك من جانب ألمانيا عدوانا مبينا صارخا ليس له ما يبرره . ومن المعلوم انه في آب ١٩٣٩ عقد بين الاتحاد السوفياتي وألمانيا ميثاق عدم اعتداء راعى الاتحاد السوفياتي دائما كل بنوده بدقة . لكن الزعماء الفاشيين لم يكونوا يهتمون ابدا بالمعاهدات التي وقعوها الى حد انهم لم يكلفوا أنفسهم حتى عناء تبرير غدرهم بهذه الحجة الشكلية او تلك ، من نوع الحجج التي تخلق في مثل هذه الحالات من اجل ايجاد الاعذار (١) .

---

(١) الا انه من اجل توضيح الراي العام ، فان الدوائر الهتلرية قد اعتمدت صيغة « الحرب الوقائية » ضد الاتحاد السوفياتي الذي كان يستعد على زعمها لمهاجمة ألمانيا . وقد اعترف الداعية الألمانية الشهير ، فريتش ، في محاكمة نورمبرغ : « لم يكن لدينا أي واقع يسمع لنا باتهام الاتحاد السوفياتي باعداد هجوم ضد ألمانيا » .

وقد كتب المؤرخ الألماني الغربي جيرهارد ريختر ، في صحيفة « شتوتفارت زایتونغ » ، في ٢٢ حزيران ١٩٥١ : « ينبغي الخلاص مرة اخيرة من الاسطورة النازية الزاعمة بان الحرب ضد روسيا كانت حربا وقائية ، وانها كانت بمثابة تدبير دفاعي ضد عدوان سبق ان اعد ... لقد كانت حربا لا من اجل الدفاع عن أوروبا ، بل من اجل السيطرة على القارة كلها » .

لقد أرغم الشعب السوفياتي الذي كان يرغب مخلصا في أن يعمل بسلام ، على امتشاق السلاح للدفاع عن وطنه من خطر الاستعباد الفاشي . هكذا بدأت الحرب الوطنية الكبرى للاتحاد السوفياتي ضد الفزاة الهتلريين . . لقد كانت حربا عادلة ، لكنها نالت أيضا من اقسى الحروب التي سبق أن خاضتها شعوب روسيا . ولم يكن هدفها فقط تحرير أراضي الاتحاد السوفياتي المحتلة من قبل العدو والدفاع عن استقلال الدولة السوفياتية فحسب ، بل كان أيضا نجدة شعوب البلدان الاخرى الخاضعة لوصاية البرابرة الفاشست . وهكذا فقد اندمجت معركة الشعب السوفياتي مع النضال التحرري لملايين سكان أوروبا ، وآسيا ، وإفريقيا .

إن الطريق الذي قاد الشعب السوفياتي الى النصر كان طريقا طويلا وشاقا جدا . وخلال حوالي اربعة أعوام كانت مساحات واسعة من أوروبا الشرقية مسرح معارك جبارة لم يسبق أن عرف العالم لها مثيلا . فان تدمير الماكنة الحربية النازية القوية قد تطلب من الشعب السوفياتي ومن جنوده جهودا وتضحيات ملحوظة .

### اسباب النكبات السوفياتية الاولى

بدأت الحرب على نحو غير ملائم الى اقصى حد بالنسبة للاتحاد السوفياتي . وبالرغم من أن الهتلريين لم يستطيعوا تحقيق مشاريعهم بكاملها ، فان قواتهم قد أحرزت خلال الاشهر الاربعة الاولى من حملة صيف ١٩٤١ نجاحات تكتيكية هامة . وقد خرقت دفاع الاتحاد السوفياتي على المحاور الرئيسية ، وبالرغم من مقاومة الجيش الاحمر الضارية ، توغلت توغلا عميقا في الاراضي السوفياتية .

وفي بداية تشرين الثاني ١٩٤١ ، كان الفاشيون على مقربة من موسكو ولينينغراد ، وكانوا قد استولوا على جنوب البلاد كله حتى الدون . أن الاراضي التي احتلت في خريف ١٩٤٢ كانت تضم قبل الحرب ٤٠ ٪ من مجموع سكان البلاد ، وكان ينتج فيها ٦٣ ٪ من مجموع الفحم ، و ٦٨ ٪ من حديد الصلب ، و ٥٨ ٪ من الفولاذ ، و ٦٠ ٪ من الالومنيوم ، وحوالي ٤٠ ٪ من حبوب



الاتحاد السوفياتي كله . ونتيجة لهذه الخسائر فان الانتاج الصناعي غير الصافي قد هبط مسن حيزران الى تشرين الثاني ١٩٤١ ، من نسبة ٢٦١ الى ١ ، وانخفض انتاج الفولاذ من ١٨ مليونا الى ثمانية ملايين طن . وقد اصبح الاتحاد السوفياتي وجيشه في وضع حرج .

كيف يمكن ان يفسر واقع ان المعتدين قد استطاعوا ان يسجلوا ، امام بلاد قوية مثل الاتحاد السوفياتي ، بمثل ذلك الوقت القصير ، مثل تلك النجاحات وان يقرعوا جدران موسكو ؟ من الصعب الاجابة على هذا السؤال في عبارة واحدة . وسنسمى مع ذلك جاهدين لان نسرّد فيما يلي الاسباب الرئيسية :

بالدرجة الاولى ، التفوق المؤقت بالرجال والمعدات وبصورة رئيسية على المحاور الاساسية . وقد سبق ان قلنا ان خمسة ملايين رجل ، اي ١٩٠ فرقة ( منها ٣٠ فرقة مدرعة وآلية ) ، كانت قد قذفت ضد الاتحاد السوفياتي ، مع اكثر من ثلاثة الاف و ٤١٠ دبابات ، وما لا يقل عن ٥ آلاف طائرة ، واكثر من ٥٠ ألف مدفع ومدفع هاون .

ان قسما كبيرا من القوات المستخدمة كان لديه خبرة في الحرب الحديثة مع تدخل مجموعات كبيرة من المدرعات والطائرات . وكانت في خدمة الجيش الهتلري الصناعة الحربية لقسم كبير من اوروبا وملايين عمال البلدان المحتلة من قبل المانيا ، الذين كان وجودهم يسمح بأن يدعى الى خدمة العلم اكبر عدد ممكن من الالمان . وقد كان اقتصاد المانيا والدول التابعة لها قد وضع سلفا في حالة التعبئة واخضع بصورة كاملة لاعداد حرب عدوانية . ان الاختيار « بين الزبدة والمدافع » كان قد تم منذ زمن بعيد .

ومن وجهة النظر الاستراتيجية ، فتنبهي الاشارة الى ان الجيش الالمانى كان قد أجرى سلفا ، في اقصى درجة من السرية، استعداداته الاخيرة وحشده وفقا للمحاور الهجومية . وقد ساهم في ذلك الجو السياسي والعسكري لذلك الوقت ، وكذلك بعض عمليات الالهاء الدبلوماسية والعسكرية للحكومة النازية .

ان أحد العوامل الحاسمة ، ولو انه ذو طابع عرضي ، كان الصفة المباغتة للهجوم . وكان امتلاك طيران وفير العدد ووسائل

عمل سريعة الحركة مثل الدبابات في البلدان الاوروبية المجهزة  
بشبكات طرق جيدة ، قد اعطى للهتلريين افضلية ضخمة .  
ولا يمكن تجاهل واقع ان الهتلريين لم يكونوا يشعرون بأي  
قلق بالنسبة لؤخرااتهم . فان الطريقة التي كانت الدول الغربية ،  
وخاصة انكلترا قد أعدت وخاضت بها الحرب ، كانت تسمح  
للألمان بأن لا يخشوا جانبها وان يستخدموا في الشرق القسم  
الابر من قواتهم .

ولم يكن النازيون مخطئين أبدا في توقع موافقة الاوساط  
الرجعية الغربية على العمليات ضد الاتحاد السوفياتي . وفي  
الواقع فحتى انفجار الحرب ، فقد كانت سياسة هذه الاوساط ،  
سياسة تشجيع للرغبة الانتقامية لدى ألمانيا الهتلرية وتحريضها  
صد الاتحاد السوفياتي . وقد دفعت ثمن ذلك شعوب النمسا ،  
وتشييكوسلوفاكيا ، وبلجيكا ، وهولندا ، وبولونيا ، وغيرها من

الجبهة نمر على مقربة موسكو ١٩٤١ .



البلدان . وجنت انكلترا نفسها ، وعلى الاخص فرنسا ، الثمار المرة للسياسة المونيخية التي جعلتهما تتجنبان اتخاذ التدابير الضرورية ، في الوقت المناسب ، من اجل اعساده المعتدين الى صوابهم ، وانشاء نظام امن جماعي في أوروبا ، كان الاتحاد السوفياتي قد عمل الشيء الكثير في سبيل انشائه .

هنا يبدو جليا ارتسام الاهداف الطبقية النفعية لاسياد سياسة البلدان القريبة ورغبتهم المستورة في توجيه العدوان الفاشي نحو الشرق وجعل الاخرين يسحبون الكستناء من النار من اجلهم .

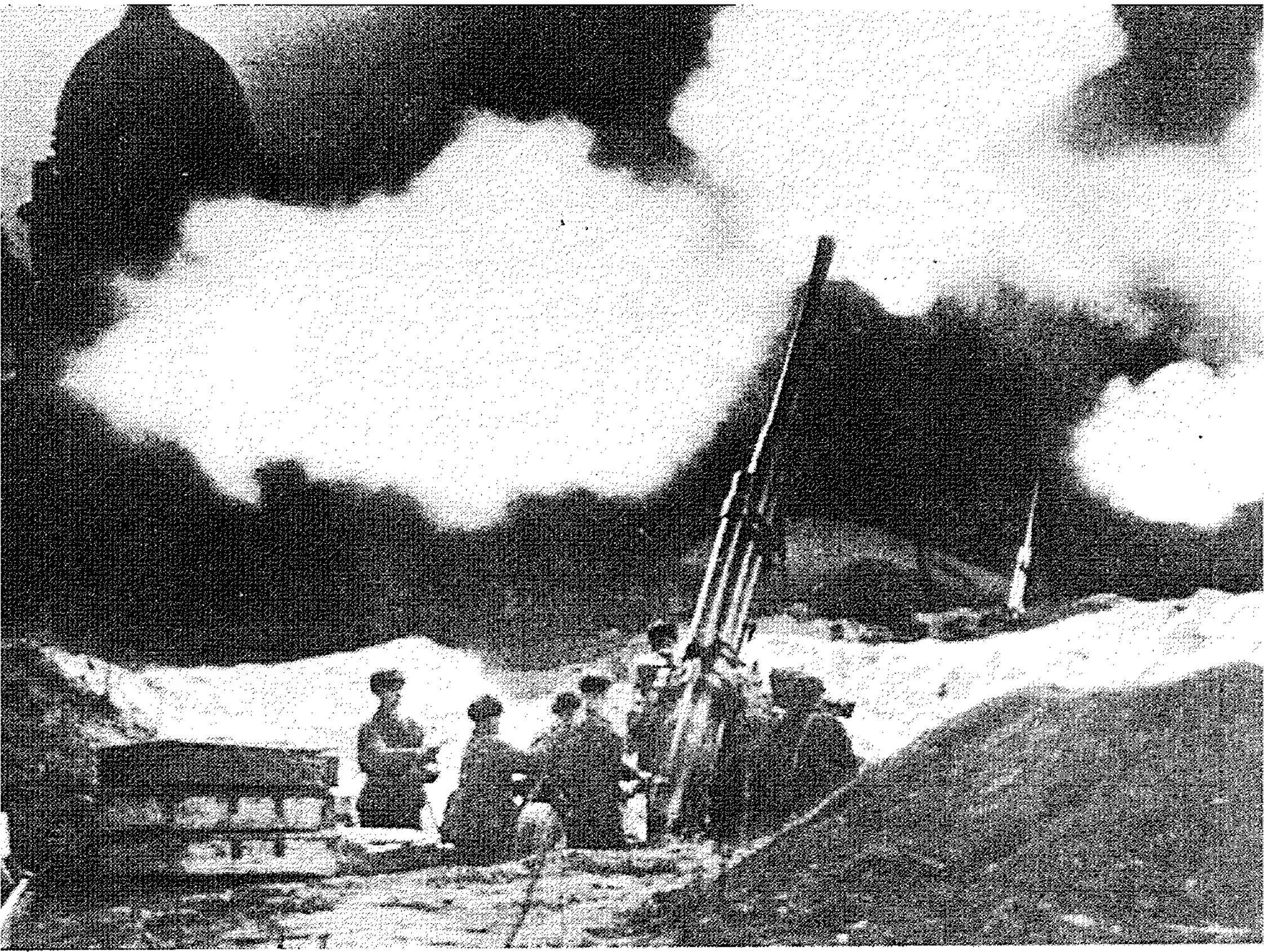
ويعرف الجميع البيان الوقح الذي ادلى به الى صحيفة **نيويورك تايمز** بعد يومين من دخول العصابات الهتلرية الى الاتحاد السوفياتي ، عضو مجلس الشيوخ هاري ترومان ، الذي أصبح رئيسا فيما بعد ، حيث قال : « اذا رأينا ان المانيا هي التي تربح فيتوجب علينا مساعدة روسيا ، واذا رأينا ان روسيا هي التي اخذت تكسب فيتوجب علينا مساعدة المانيا ، على نحو تلحق كل منهما أكبر ضرر ممكن بالآخرى » .

وفي الخطاب المذاع الذي القاه تشرشل بمناسبة الهجوم الهتلري ضد الاتحاد السوفياتي ، قمع اعلاانه ان « قضية كل روسي يناضل في سبيل بيته وأسرته هي قضية الناس الاحرار والشعوب الحرة في جميع مناطق العالم » ، الا انه رأى من المناسب ان يضيف ما يلي : « خلال الـ ٢٥ عاما الاخيرة لم يكن هناك عدو الدمنى للشيوعية . ولا اسحب كلمة واحدة مما سبق ان قلته بصدد هذا النظام » .

وبتحدث الوزير الانكليزي مور برامازون ، عضو وزارة تشرشل ، على نحو أكثر دقة ايضا ، اذ أعلن بصراحة ان النهاية المشتهاة للعمليات في الميدان الشرقي هي الانهاك المتبادل لالمانيا والاتحاد السوفياتي ، الامر الذي من شأنه ان يتيح لانكلترا « احتلال موقع مسيطر » .

على هذا النحو كانت تفكر وتحدث الشخصيات الغربية البارزة . ولا شك بأنها لم تكن تعكس أبدا الحالة النفسية لجماهير بلدانها ، التي كانت تشجب دون غموض العدوان الفاشي وتطالب بأن تتخذ تدابير جماعية جذرية من أجل ارجاع هوة





### لينينغراد المحاصرة .

الفنوح الى صوابهم . لكن رد الفعل هذا لدى الراي العام لم يكن كافيا بعد لاثارة قلق الهتلريين . وكانوا يعتقدون ، وليس دون سبب ، انهم ، في عام ١٩٤١ على الاقل ، لم يكونوا بحاجة لان يحترسوا من جهة الغرب . لقد كانت ايديهم طليقة في الشرق . وهكذا فان الاتحاد السوفياتي كان يخوض عمليا معركة فريدة مع خصم قوي ومفعم بالحق . ويمكن تكرار القول مع ذلك ان الاتحاد السوفياتي كان دولة قوية بدرجة كافية للصمود وانه كان يحوز الموارد الاقتصادية والعسكرية الضرورية . وهذا شيء صحيح . ومن ثم فقد ثبت ذلك . فحتى في اقصى ايام ١٩٤١ ، لم يشك الشعب السوفياتي ابدا بالنصر . بيد ان الانعطاف المفجع الذي اتخذه الاحداث في البداية ، كان شيئا غير مرتقب ابدا بالنسبة لجميع السكان وبالنسبة لكل جنود وضباط الجيش السوفياتي ، وبالنسبة للقيادة العليا والحكومة .

قد شهد التاريخ اكثر من مرة دولة معتدية ، اضعف اقتصاديا وعسكريا من اخصامها بصورة اجمالية ، تحرز

انتصارات كبيرة بفضل الاتجاه الوحيد المضي على استعداداتها ، وبفضل توزيع جيشها واختيار مواقع الانطلاق الملائمة . وهكذا ففي بداية الحرب العالمية الاولى ، استطاع الجيش الالماني الوصول الى جوار باريس ، واستطاع العسكريون اليابانيون اجبار الولايات المتحدة وانكلترا على التراجع في الفترة الاولى من الحرب في المحيط الهادىء . وبالطبع فلا توجد في ذلك اية ضرورة ملزمة صارمة ولا يمكن على هذا النحو ايجاد الاعذار للنكبات التي حلت . ولكن فانه لو وقع كون الامور قد حدثت على هذا النحو في الحرب العالمية الثانية .

ان الاتحاد السوفياتي ، الامين للمبادئ السلمية للسياسة الخارجية التي حددها لينين ، كان منصرفا الى امور سلمية ولم يكن يستعد لمهاجمة أحد . فسياسة العدوان والفتح هي غريبة عن الطبيعة ذاتها للدولة الاشتراكية .

وبالطبع فقد كان الاتحاد السوفياتي يحوز في بداية الحرب ، من اجل دفاعه ، جيشا وفيرا العدد وعصريا . وكان هذا الجيش يضم في عام ١٩٤١ ٤٠٢ مليون رجل . ولكن في بداية صيف نفس العام ، لم يكن هذا الجيش موزعا في مناطق الحدود ، ولا مهيئا للمعركة مثل الجيش الالماني . فقوات التغطية في الحدود الغربية كانت تواصل تدريبها العادي ، ولم تكن في حالة تأهب وقد فاجأها الهجوم على حين غرة .

في أعوام ما قبل الحرب كان الاتحاد السوفياتي قد أنشأ صناعة قوية ، الدعامة المادية لاقتصاد البلاد ودفاعها . ولكن من الجلي انه في زمن السلم ، فان قسما فقط من الصناعة كان مخصصا لانتاج الاسلحة . وكان العلماء السوفياتيون قد أعدوا عدة نماذج هامة من الاسلحة والمعدات ، لكن الانتاج بالجملة لم يكن قد بدأ بعد . ان التجديد التكنيكي للجيش ، والطيران والبحرية كان في بدايته فقط . ولم يكن قد تسنى للرجال بعد الوقت الكافي لاتقان استعمال الاسلحة الجديدة ولم تكن قد انجزت بعد اعادة تنظيم الفرق والفيالق ، التي كانت قد أدخلت تعديلات على افرادها . ولم يكن قد تسنى الوقت بعد لانهاء تحصينات الحدود الغربية الجديدة .

وخلال الايام الاولى للحرب ، فان عنصر المفاجأة قد كلف



### الفاشية هي الموت .

الجيش السوفياتي خسائر فادحة بالمعدات . ولذلك - ففي بداية النزاع ، كان السوفياتيون يعانون نقصا في الدبابات ، وفي الطائرات ، وفي وسائل النقل . ان قوات التفطية التي اضطرت لتحمل الصدمة الاولى ، الصدمة الاشد ، لم تكن تملك لا القوى ولا الخبرة الكفاحية التي كان يملكها العدو .

وفي حين ان الالمان كانت تعززهم قوات الدول التابعة لهم ، فان الاتحاد السوفياتي ، المقتصر على قواته وحدها ، كان يتوجب عليه أيضا ان يصد المعتدي على جبهتين : الجبهة الغربية وجبهة الشرق الاقصى . ومن المعلوم ان اليابان كانت من الحلفاء انرئيسيين لمانيا ونشيطة مثلها في سياستها العدوانية ضد الشعوب المسالمة . وبعد احتلال منشوريا وشمال الصين ، وزعت في محاذاة الحدود السوفياتية جيش شمال شرقي الصين القوي الذي يضم مليون رجل . الا ان اليابان لم تكن تخفي مشاعرها المعادية للسوفيات ، الامر الذي ارغم الاتحاد السوفياتي على ان يبقى ، من البايكال الى القسم الشمالي من ساخالين والى



فلاديفوستوك قوات هامة ( تصل الى ٤ فرقة ) . ومن ناحية اخرى كان على الاتحاد السوفياتي أن يحترس فسي حدوده الجنوبية ، نظرا لان الحكام الاتراك الذين كانوا قد اعلنوا حيادهم ، قد واصلوا مع ذلك مساعدة المانيا ، وكانت المكائد الهتلرية في ايران توحى بالقلق أيضا .

الا ان السوفياتيين الذين كانت الهزائم الاولى لجيشهم بمثابة تجربة قاسية لهم ، قد كانوا على اقتناع بأن بداية الحرب كانت ستتخذ اتجاهها آخر لو لم يرتكب ستالين اخطاء جسيمة في اعداد الاتحاد السوفياتي للعدوان النازي ، الذي كان يبدو شيئا محتما منذ زمن بعيد . ان ستالين الذي تولى القيادة العليا للبلاد ولقواتها المسلحة ، لم يتخذ جميع التدابير التي كانت تملئها عليه الظروف من اجل تعبئة الصناعة الحربية ووضع القوات السوفياتية في حالة التأهب . ولم يستطع ان يقدر على نحو صحيح الوضع السياسي والعسكري عشية الحرب . معتقدا بأن المانيا لن تقدم على مهاجمة الاتحاد السوفياتي بمثل هذه السرعة . ولم يستخلص في الوقت المناسب نتائج حشد القوات الذي اجراه الهتلريون على الحدود الغربية للاتحاد السوفياتي ، وقد أصبح معلوما الان انه كان قد ابلغ عن ذلك بالتفصيل من قبل مصالح الاستخبارات السوفياتية . وكان قد جعل قاعدة له عدم اعطاء الحكام الالمان ادنى ذريعة باتهام الاتحاد السوفياتي بخرق الميثاق الالمانى السوفياتي . ولهذا السبب فان اعداد البلاد لهجوم محتمل من الخارج ، في حين كانت تحتدم الحرب العالمية الثانية ، كان يجري ببطء ، وكأنه كان يجري على مضض . ومن ناحية اخرى ، فقبل الحرب بقليل ، فان حذر ستالين الشديد قد ادى الى اعمال قمع لا مبرر لها تجاه قواد عسكريين عديدين موهوبين . وقد كان الرجال الذين حلوا محلهم صغيري السن جدا وتنقصهم التجربة ، الامر الذي انعكس في قيادة العمليات في بداية النزاع . هذه هي الاسباب الرئيسية التي ساعدت الهتلريين في بداية الفترة الاولى من الحرب ضد الاتحاد السوفياتي .

وبالرغم من كل شيء فان الشعب السوفياتي وجيشه قد وجدوا القوة للتغلب على المخنة وابعاد الخطر الرهيب الذي كان



بخيم عليهما في عام ١٩٤١ ، وان يوقفنا العدو ثم ان يستعيد المبادرة .

انه لامر طبيعي طرح السؤال التالي : كيف استطاع الشعب السوفياتي النجاح ؟ ومن أين استمد القوى ؟ ولماذا لم يستطيع الهتلريون الذين وصلوا الى اسوار موسكو ، الاستيلاء على العاصمة السوفياتية ؟ ولماذا غرس الجنود السوفيات ، بعد وصولهم الى برلين ، رايتهم على قمة الرايخستاغ ؟ اننا سنكشف فقط عن الاحداث التي تساعد بصورة مباشرة على فهم دور الاتحاد السوفياتي وجيشه في الحرب العالمية الثانية والنصيب الذي ساهما به في تحرير الشعوب من عدوها المشترك ، الفاشية . ما هي هذه الوقائع ؟ لقد دامت حرب الشعب السوفياتي ضد ألمانيا الهتلرية والدول التابعة لها حوالي اربعة اعوام ، من ٢٢ حزيران ١٩٤١ الى ٩ ايار ١٩٤٥ ) . ان الطول الاجمالي للجبهة ، من الشمال الكبير الى البلقان ، بلغ حتى ستة آلاف كلم وقد تراوح عدد افراد جيش العدو ، حسب الفترات ، بين ١٩٠ و ٢٩٠ فرقة . ووفقا لمعطيات غير كاملة فان أكثر من ستمائة فرقة تابعة لألمانيا وحلفائها وضعت خارج المعركة . ومثل هذه الخسائر كان يستحيل تعويضها .

لقد تطلب هذا الانتصار معارك عديدة ومنهكة ، كانت نتيجتها موضوع نضال طويل وضار وحشد مدهش لكل القوى المعنوية والاقتصادية ، والعسكرية للشعب السوفياتي .

### الشعب يقود النضال

ان الهجوم السوفياتي الهام الاول أمام موسكو والهزائم الجدية الاولى للهتلريين على الجبهة الشرقية قد هيأها المقاومة الضارية للشعب السوفياتي ولمحاربيه خلال المعارك الدفاعية القاسية في صيف ١٩٤١ .

ولم تثبط المباغتة في الهجوم وعدم تناسب القوى عزائم السوفياتيين ولم تضعف تصميمهم . فقد هبوا للدفاع عن وطنهم ، واثبتوا خلال معارك عنيفة انهم عازمون على ان لا يبخلوا ، لا بدمهم ولا بحياتهم ، من أجل المحافظة على حريتهم .

ان تاريخ الايام الاولى للحرب مفعم بالامثلة المؤثرة على



### الى الامام !

التجاعة ، والجرأة ، وروح التضحية لدى الجنود السوفيات الذين خاضوا معركة غير متكافئة ضد المحتاج .  
وقد ابدت حامية قلعة بريست امام النازيين مقاومة شديدة الى حد ان هؤلاء قد قضوا اكثر من شهر من اجل الاستيلاء على مركز الحدود هذا الذي كان يسد في وجههم طريق منسك . وسمولنسك ، وموسكو . ولم تستطع لا النار الجهنمية للمدفعية ، ولا اعمال القصف الكثيفة من قبل الطيران ، ولا هجمات الدبابات من التغلب على الروح الكفاحية وعلى العناد لدى السوفياتيين .  
وقد حفر جندي مجهول على احد جدران الحصن العبارة التالية :  
« اموت ولكن لا استسلم : وداعا يا وطني ! ٢٠ - ٧ - ١٩٤١ » .  
ومنذ الايام الاولى سمعت البسلاد احاديث عن عدة حالات صدم طائرات عدوة من قبل الطيارين السوفياتيين . وستخلد الى الابد في الذاكرة ماثرة ملاحى قاذفة القنابل بقيادة الربان نيقولاى

غاستيللو . وبعد ان اذت طائرة غاستيللو مهمتها أصيبت بنيران المدفعية المضادة للطائرات وهي عائدة الى قاعدتها . ولم يستطع الطيارون اطفاء الحريق وقرر الربان اسقاط الطائرة على حشد من السيارات ومن صهاريج البنزين كان قد رآه على طريق كبير جدا . وقد هلك الابطال مسببين للعدو خسائر فادحة .

وبمقدار ما كان العدو يتقدم داخل البلاد ، كان يصطدم بمقاومة اكثر عنادا دائما وبهجمات معاكسة أقوى دائما ، من قبل الجيش السوفياتي . وقد طال الدفاع عن سمولنسك اكثر من شهر مجمدا ومنهكا المجموعة النازية التي كانت تتجه نحو موسكو . وقد صمدت فرقة المشاة ال ١٠٠ حوالي الشهر امام منسك مدمرة اكثر من ٣٠٠ دبابة عدوة . وقد فقد العدو امام بريانسك حتى ٥٠٠ دبابة . وقد وضع هجوم معاكس للقوات السوفياتية اما يولنيا ويارتسيف ، خارج المعركة ، ثماني فرق عدوة . وقد ادى هجوم معاكس في منطقة سولتاي ضد فيلق فاشي الى تأخير تقدم العدو في اتجاه لينينغراد . وقد اوقفت قوات البلطيق البرية والبحرية حوالي الشهر قوات هامة امام تالين .

وصمد مدافعو شبه جزيرة هانكو ، عند مدخل خليج فنلندا ، في ظروف قاسية جدا ، امام حصار دام اكثر من خمسة اشهر . وجرى الدفاع عن اوديسا مدة ٦٩ يوما ، وعن سيباستوبول ٢٥٠ يوما . وقد كلف العدو الاستيلاء على هذه المدينة ، حوالي ٣٠٠ الف جندي وضابط . ان الابطال الذين تميزوا في هذه القلعة يعطوننا كل مدى العظمة الصارمة للروح العسكرية . وهذا ينطبق على البحارة الخمسة التابعين للمدرب السياسي نيقولا فيلتشينكوف . فامام كتيبة من الدبابات لم يكن لدى هؤلاء الرجال من اسلحة سوى القنابل اليدوية والرشاشات . فبعد مقتل اثنين منهم والوشوك على نفاد الذخائر ، احاط الشيوعي فلتشينكوف نفسه بسباحات من القنابل اليدوية وقذف بنفسه تحت جنازير احدى الدبابات . وقد اقتدى به البحاران بارشين واودينتسوف . وهكذا اوقف الهجوم .

لقد عاشت لينينغراد ، هذه المدينة الرائعة المنتصبة على ضفاف النيفا ، ملحمة اسطورية لم تعرف مثلها الا مدن نادرة . وكان هتلر قد اعطى الى قواته الامر بسحق وابادة سكانها . لكن





### هنا جرى قتال .

هذه المشاريع المتسمة ببربرية نادرة قد احبطتها شجاعه جنود ، وبحارة ، وسكان المدينة البطلة . وكانت الخطوط الامامية والخلفية متداخلة . وقد اشترك ٣٠٠ الف مبن سكان لينينغراد بالتعبئة الجماهيرية . ونظرا لان العدو لم يستطع الاستيلاء على المدينة عن طريق الهجوم فقد اخضعها لحصار لا نهاية له ومنهك دام ٩٠٠ يوم ، ٩٠٠ يوم من الآلام والمآثر . ان الناس اصحاب النوايا الطيبة لا يستطيعون ان لا يتأثروا بقصصة ما اضطر لمعاناته المدافعون عن المدينة التي تحمل اسم لينين . فأعمال القصف المستمرة ، والجوع ، والبرد ، قد سببت هلاك مئات الوف الاشخاص . لكنهم فضلوا الموت على تسليم مدينتهم . ولم تسلم لينينغراد .

فور دخولهم الى الاراضي السوفياتية ، ارتكب الهتاريون جرائم وحشية ضد السكان المدنيين . وقد عرف السوفياتيون اتوجه الحقيقي للفاشية بتجربتهم المباشرة . فاعدام المدنيين رميا بالرصاص ، دون شفقة على العجز ، والنساء ، والاطفال ، والاهانات المقيتة والتعذيب للجنود ، والضباط ، والانصار الذين



أسروا ، وتدمير المدن والقرى ، والصروح الأثرية ، وإبعاد مئات  
الآلاف من المواطنين السوفييات المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة  
الى المانيا ، كل هذه الاعمال البربرية لن ينساها السوفيياتيون ابدا .  
ولم يكن ذلك مجرد اساءات عفوية من قبل زمرة عسكرية  
تجردت من النزعة الانسانية ، بل كان « تكتيكا » مقروا من قبل  
المراجع العليا . لقد كانت توصيات هتلر كما يلي : « يتوجب علينا  
ان نبيد السكان ، ويدخل ذلك في رسالتنا لحماية السكان الالمان .  
وسيتوجب علينا ان ندفع الى الامام تكتيك الإبادة ... » . وقد  
خاطبت القيادة العليا جنود الجبهة الشرقية على النحو التالي :  
« لن يكون لديك لا قلب ولا اعصاب ، وانت لست بحاجة لها في  
المعركة . تخلص من كل شفقة ورحمة . اقتل الروس ،  
السوفيياتيين ، دون ان تتورع امام العجز ، والنساء ، والبنات ،  
والفلمان ؛ اقتل ... » . وقد نفذت هذه الاوامر .

ان عدة ملايين من المواطنين السوفييات كانوا ضحايا السعار  
المدمر للقتلة النازيين ( بلغ مجموع الخسائر البشرية التي مني بها  
الاتحاد السوفياتي خلال الحرب حوالي ٢٠ مليون شخص ) (١) .  
امتلات أفئدة السوفيياتيين بحقد مشروع على جلاديههم .  
وقد ردوا على بربرية العصابات الهتلرية بصرختهم « الموت  
للمجتاح ! » وقد دخل الشعب كله النضال . ان احدى بادرات  
الطابع الشعبي العميق للحرب ضد المانيا ، نجدها في الاتساع  
الخارق لحرب الانصار في المناطق المحتلة من قبل العدو . فمنذ  
تشرين الاول ١٩٤١ كانت فصائل الانصار في المناطق الغربية  
تضم مئات الوف « المنتقمين الشعبيين » وكان السوفيياتيون

---

(١) دمر النازيون في مناطق الاتحاد السوفياتي التي كانوا يحتلونها  
او استولوا عليها ، خيرات مادية ذات قيمة هائلة . وقد خربوا ونهبوا ١٧١٠ مدن  
واكثر من ٧٠ الف قرية وضيعة ، وعطلوا تماما او جزئيا ٣٢ الف مؤسسة صناعية  
و ٦٥ الف كلم من السكك الحديدية ، ونهبوا ٩٨ ألف كولخوز و ١٨٧٦  
سوفخوزا ، ودمروا عشرات آلاف المستشفيات والمدارس والمكاتب والمسارح  
والمتاحف . وقد قدرت الخسائر المادية الناتجة عن التدمير او السرقة بمبلغ  
٦٧٩ مليار روبل ، وبلغ مجموع الخسائر المادية التي مني بها الشعب السوفياتي  
حوالي ٢٦٠٠ مليار ( بروبلا ما قبل الحرب ) .



بطل الاتحاد السوفياتي  
فكتور تالايخين الذي  
صدم بطائرته طائرة  
المانيا واسقطها .

ينضمون الى حركة الانصار بأسر ، وقرى ، واقضية بكاملها ،  
زارعين الهلع بين النازيين بنشاطاتهم . وقد خففوا كثيرا مهمة  
الجيش السوفياتي .

ان الجنود والضباط الفاشيين الذين كانوا يتوقعون النزهة  
العسكرية التي وعدهم بها قادتهم ، قد أصيبوا بخيبة الامل .  
ولم يتوجب عليهم ابدا في الماضي مجابهة مثل هذه المقاومة  
الضارية والعامة .

وقد كتبت الصحيفة الرسمية للحزب النازي ، صحيفة  
**فولكشير يوباختر** ، في ٤ تموز ١٩٤١ ما يلي : « مما لا جدال فيه  
انه بين جميع الاعداء الذين اضطر الجندي الالماني لمجابهتهم ،  
فان السوفياتيين هم الاكثر شجاعة والاكثر عنادا » .

وكان يتوجب على العدو فعلا لكي يتقدم ، ان يمر فوق  
جثث جنوده وضباطه القتلى . ان خسائر الهتلريين بالرجال

والعتاد لم تلبث أن بلغت منذ البداية نسبا خيالية . فقد ذكرت صحيفة **أربيتاون** السويدية ، في تموز ١٩٤١ ، ما يلي : « لقد اصطدم الالمان بعدو اكثر صلابة وخطرا مما كانوا يتوقعون . فالخسائر بالرجال ، وبالدبابات ، والطائرات ، قد كانت مرتفعة بصورة خارقة » .

ويعترف الجنرال الهتلري تيلكرش في كتابه **حصيلة الحرب العالمية الثانية** ان العمليات الناجحة الاولى في عام ١٩٤١ « لم تؤد لا الى الابداء السريعة لجميع القوات المسلحة للعدو ، ولا الى ضرب معنويات قوات الجيش الاحمر » .

### **الهزيمة الهامة الاولى للوهرماخت**

في خريف ١٩٤١ ، انتقل القطاع الحاسم للعمليات نحو موسكو . وكان الاستيلاء على العاصمة السوفياتية ، منذ بداية الحرب ، الهدف الرئيسي للهتلريين . وكانوا يعتقدون ان سقوط العاصمة وسحق القسم الاكبر من قوات الجيش الاحمر على المحور الرئيسي ، سيرغمان الاتحاد السوفياتي على الاعتراف بالهزيمة وستنتهي الحرب عندئذ . ومن المعلوم ان النازيين كانوا يتوقعون الاستيلاء على موسكو قبل حلول الشتاء ، وبذلوا من اجل ذلك جهودا يائسة .

وفي نهاية ايلول ، أصبحت مشارف موسكو مسرح معارك ضارية . فقد قذف النازيون الى الهجوم العام ضد موسكو بقوات هائلة ، تصل الى ٨٠ فرقة ، بينها ٢٢ فرقة مدرعة وآلية يدعمها اكثر من الف طائرة . والجدير بالذكر ان ١٠ - ١١ فرقة مدرعة قد كانت كافية لهتلر في ايار ١٩٤٠ للتغلب على الجيش الفرنسي .

ومقابل خسائر هائلة نجح العدو في دفع القوات السوفياتية نحو الشرق . وفي تشرين الاول احتل كالينين ، وكلين ، وفيازما ، وموجايسك ، ووصل الى القرب المباشر لموسكو . وفي الجنوب كانت اوريل قد سقطت ، وكانت معارك ضارية تجري من اجل تولا ، وفي الطرف الاقصى للزاوية التي كان يحاول الهتلريون ان يخترقوا منها الدفاع السوفياتي في جنوب موسكو ، وضع الجيش المدرع للجنرال غودريان . لكن الهجوم توقف . وقد

ازدادت قوة مقاومة القوات السوفياتية .

وفي مهلة قصيرة جدا ، فان اكثر من نصف مليون من سكان المدينة وجوارها قد شيدوا امام موسكو تحصينات قوية . وكانت مصانع الاسلحة والذخائر تعمل ليلا نهارا . وكانت حرب الانصار محتدمة في مؤخرات العدو . وفي منطقة موسكو وحدها ، كان النازيون يواجهون اكثر من اربعين تشكيلة من تشكيلات الانصار تلحق بهم خسائر هائلة .

لقد تجاوز اسم عضو الكومسومول زويا كوسموديميانسكايا حدود الاتحاد السوفياتي . فان التلميذة الموسكوبية الفتية قد تطوعت في فصيل للانصار واشتركت بمهام استكشاف ، مقدمة للقيادة معلومات قيمة عن العدو . وقد سقطت في ايدي الهتلريين الذين حاولوا ، بواسطة اعمال تعذيب وحشية ، ان ينتزعوا منها اسماء رفاقها ومكان هيئة اركان الانصار . ونظرا لانهم لم يستطيعوا ان ينتزعوا منها اي اعتراف ساروا بها الى المشنقة . وفي الوقت الذي كان الجلاد يضع الحبل حول عنقها ، رفعت زويا رأسها وخاطبت سكان قرية بيتريشتشيفو الذين كان الهتلريون قد جمعوهم في مكان الاعدام ، صائحة : « ان الموت لا يخيفني ايها الرفاق ! انه لسعادة ان يموت الانسان في سبيل شعبه ! » .

امام اخفاق المحاولة الاولى ، اخذت القيادة الالمانية تعد هجوما كبيرا ثانيا الهدف منه تطويق موسكو والانتصار النهائي . وبسبب الخسائر ، فقد استخدم الهتلريون في هذا الهجوم قوات اقل من المرة الاولى لكنها ظلت ضخمة مع ذلك : ٥١ فرقة ، منها ١٣ فرقة مدرعة وثمانين فرق آلية . وقد اصطدم الهجوم الذي بدا في منتصف تشرين الثاني بمقاومة اكثر حزمًا أيضا .

مشاة ، وسائقو دبابات ، وطيارون ، ورجال مدفعية ، كانوا يقاتلون من اجل موسكو بثبات خارق . فعلى طريق فولوكولامسك ، فان الفرقة ٣١٦ ( التي أصبحت فيما بعد فرقة الحرس الثامنة ) ، بقيادة الجنرال بانفيلوف صمدت بشجاعة . وفي ١٦ تشرين الثاني ، فان فريقا من جنود هذه الفرقة بقيادة المدرب السياسي للسرية فاسيلي كولتشكوف ، سدت الطريق امام الفاشيين قرب محطة دوبوسيكوفو . وقد قذف الهتلريون الى المعركة بعدد كبير من الدبابات وفصيل من المشاة .



وكان كولتشكوف يبحث رفاقه قائلا :

— مهما كانت روسيا كبيرة فليس لدينا مكان نراجع اليه :

ان موسكو وراءنا .

وقد تمسك الجنود بقوة بمواقعهم فكانوا يصدون هجوما بعد اخر . وكانت صفوفهم تنفرج ، لكن العدو لم يتقدم خطوة واحدة . وفي اخرج لحظة ، فان كولتشكوف الذي كان قد جرح جرحا خطيرا ، قذف بنفسه تحت دبابة المانية مع سبعة من القنابل اليدوية . ان الابطال الذين لم يكونوا يرون من مخرج سوى الموت ، قد اوقفوا العدو .

لقد صد هجوم العدو . لكن الخسائر التي وقعت قد اصبحت من المستحيل تعويضها . الا ان القيادة السوفياتية حشدت حول موسكو احتياطات هائلة . والى جانب الوحدات المشكلة حديثا كان يعثر على فرق من النخبة من سيبيريا والشرق الاقصى . وحين كانت القوات السوفياتية لا تزال تقف موقف الدفاع، كانت قد بدأت الاستعداد لهجوم معاكس حاسم ، لم يلبث ان شن . في ٥ كانون الاول تحركت جبهة كالينين ( بقيادة الكولونيل جنرال كونييف ) وتبعتها في ٦ منه جبهة الغرب ( بقيادة الجنرال جوكوف ) وجبهة الجنوب الغربي ( بقيادة المارشال تيموشنكو ) . وقد تقهقر الهتلريون واضطروا الى التراجع على عجل مخلفين وراءهم معداتهم وعسكدا كبيرا من القتلى والجرحى . وكانت جيوش الجنرالات روكوسوفسكي ، وغوفوروف ، وغوليكونوف ، ونيوشنكو ، وكوزنتسوف ، ويوشخيفتش ، وبولدين وغيرهم تتقدم بسرعة محررة السوف الاماكن . وكانت تدعمها الاعمال الجريئة لفيلقي فرسان الجنرالين ديفيتور وبيلوف .

بدا هجوم الشتاء الكبير . ووجد الهتلريون انفسهم وقد قذف بهم الى مسافة تبعد من ١٥٠ الى ٤٠٠ كلم عن موسكو ، بعد ان وضعت اربعون فرقة خارج المعركة . وكانت هذه هي الهزيمة الاولى للجيش النازي في الحرب العالمية الثانية . وقد تبددت امام موسكو وعلى ايدي الجنود السوفياتيين الاسطورة القائلة بأن الويهرماخت لا يقهر ، هذه الاسطورة التي اعتني بمراعاتها حتى ذلك الوقت . وقد انحطت معنويات النازيين ، وفشل مشروع الاستيلاء على موسكو والحرب الصاعقة ضد الاتحاد السوفياتي .

سجل رئيس هيئة الاركان الالمانية هالدور ، في كانون الاول ١٩٤١ في يومياته : ٧٧٥ الفا و ٧٨ قتيلا ، وجريحا ومفقودا أي ٢٤٤٢ ٪ من مجموع القوات التي استخدمت في الشرق .  
وكان ذلك نصرا كبيرا للشعب السوفياتي ولجنوده الشجعان ، وكان له أيضا أهمية سياسية وعسكرية كبيرة بالنسبة لنهاية الحرب . وبالإضافة الى السوفياتيين ، فان الملايين من سكان البلدان المحتلة من قبل المانيا قد شاهدوا ، مع هذه التكلفة التي حلت بعصدهم المشترك ، اقتراب ساعة التحرر التي طالما انتظروها . ان الهجوم على روسيا السوفياتية من قبل المانيا قد نشط بقوة حركة المقاومة في البلدان الاوروبية . وقد اضطر القادة النازيون الى الاعتراف بذلك هم أنفسهم . وهكذا فان التوجيه الصادر في ١٦ ايلول عام ١٩٤١ من المقر العام الالمانى قد أشار الى اشتعال المقاومة في كل المناطق المحتلة من قبل النازيين ، منذ بداية الحملة ضد الاتحاد السوفياتي . وقد بدأ رد جماهيري مسلح ضد المحتلين في يوغوسلافيا ، وبولونيا ، وفرنسا ، والبانبا ، وفي بلدان اخرى .

وقد أطلق العمال التشيك الشعار التالي : « ان انتاجنا في خدمة ماكنة الحرب الالمانية يجب أن يكون أسوأ انتاج في العالم » . وفي تموز - آب ١٩٤١ ، فان الانتاج الحربي المقدم من قبل المصانع التشيكوسلوفاكية قد انخفض ٤٠ ٪ . وقد طبق الوطنيون البلغار الشعار التالي : « لا جندي واحد لحرب هتلر » ضد الاتحاد السوفياتي .

بعد هزيمة الهتلريين أمام موسكو اتسعت حركة الانصار بمقدار اكبر أيضا . وفي بداية عام ١٩٤٢ . فان ٤٣ فصيلا ، و ١١ فوجا ، ولواء ، وعدة تشكيلات أصغر ، كانت تحارب في يوغوسلافيا . ومن تموز ١٩٤١ الى شباط ١٩٤٢ ، سجل الوطنيون الفرنسيون ٣٨٠ هجوما مسلحا ضد الهتلريين . وسجل حرس الفوارديا لودووا ، الذي أسس في بولونيا في ربيع عام ١٩٤٢ ، أكثر من ٣٠٠ هجوم في ذلك العام . وفي تسعة اشهر من عام ١٩٤٢ ، نفذ الانصار الالبانيون ٣٣٠ عملا مسلحا . وفي كانون الاول



هذا الضابط الجريح رفض مغادرة الجبهة .



١٩٤١ أنشأ المقاومون اليونان جيشا لتحرير الوطني ( ايلاس ) ، كان شعاره « النصر أو الموت ! » . وتضاعفت أعمال التخريب في بلجيكا ، والنرويج ، وهولندا ، والبلدان الاخرى الخاضعة للهتلريين .

### حصن الفولغا

ان المقاومة البطولية للقوات السوفياتية على ضفاف الفولغا خلال صيف وخريف ١٩٤٢ هي صفحة من أمجد صفحات النضال ضد الغزو الفاشي ، وهي حدث من الاحداث الرئيسية للحرب العالمية الثانية .

كيف جرت هذه المعركة الشهيرة ؟

ان المعارك من اجل موسكو وهجوم الشتاء من قبل الجيوش السوفياتية كانت قد انزلت ضربة جدية بالهتلريين . لكن هؤلاء كانوا لا يزالون يملكون احتياطات وفيرة كانوا مصممين على استخدامها في الشرق . وكانت انكلترا والولايات المتحدة ، حليفتا الاتحاد السوفياتي ، تملكان في ذلك الوقت قوات هامة وكانتا تستطيعان ان تضربا النازيين بشدة . لكنهما لم تكونا تنويان فتح جبهة ثانية في اوروبا . وقد اتاح جمودهما للهتلريين نقل عدد كبير من الفرق والدبابات والطائرات الى الجبهة الالمانية السوفياتية . لكن النازيين لم يعودوا اقوياء مثلما كانوا في عام ١٩٤١ ولم يعد باستطاعتهم ان يهاجموا على طول الجبهة . وقد قرروا حشد القسم الاكبر من قواتهم في قطاع كورسك وخاركوف وتوجيه جهودهم ضد القوات السوفياتية في الجنوب .

وفي تموز ١٩٤٢ انطلق الويهرماخت نحو ستالينغراد ( فولغا غراد الان ) وشمال القفقاس . وكان من الاسهل بالنسبة لدباباته المناورة في سهول جنوب البلاد الخالية من النتوء والغابات . وقد أبدت القوات السوفياتية مقاومة ضارية . وفي منحني الدون ، في المكان الذي يقترب فيه هذا النهر اكثر ما يكون من الفولغا ، قذف الى المعركة بالجيشين الـ ٦٢ و ٦٣ . وقد احترقت مئات الدبابات وحصد الوف الهتلريين في مواقعهم . وفي قطاع كليتشكايا ، فان الجنود بولوتوف ، والايستيكوف ، وصموئي洛夫 ، وبيليكوف ، قد خاضوا المعركة ضد ٣ دبابات . وكانت انفجارات القذائف تطوق المدافعين البواسل وكانت تطمرهم



أحيانا بالتراب . لكنهم ظلوا يطلقون النار بجراة وبتسديد اكبر ضد دبابات العدو . وكان بولوتوف وبيليكوف يطلقان النار من بندقيتهما المضادتين للدبابات، في حين ان الاينيكوف وصموئيلوف كانا يسددان النار الى الجنود الذين كانوا يغادرون المدرعات المشتعلة . وقد عطل الرجال ١٥ دبابة دون ان يتعرضوا هم انفسهم للخسائر .

وفي آب ١٩٤٢ ، في مكان غير بعيد من قرية مالايا روسوشكا، فان ٣٣ جنديا من الحرس ، وعلى رأسهم الرقيب كوفاليف ، قد طوقوا . وقد قذف النازيون ضدهم بـ ٧٠ دبابة ، أي بمعدل دبابتين ضد كل جندي . وكان النجاح مسألة مفروغا منها . لكن المعركة احتدمت خلال يومين وكلفت المهاجمين ٢٧ دبابة وأكثر من ١٥٠ رجلا . وقد صد السوفيياتيون جميع الهجمات وتوصلوا الى شق طريق نحو رفاقهم .

خلال شهر بأكمله حمي وطيست المعركة من أجل مشارف ستالينغراد . ولم يستطع الهتلريون ، كما كانوا يتوقعون ، اقتحام مدخل المدينة . وقد اقتضى الامر ان يستنجدوا بفرق جديدة من أجل الدخول اليها في نهاية آب . وقد أصبحت المصارك ضارية . وفي كل مكان كان العدوان يتقاتلان جسدا الى جسد ، برا وجوا ، وليلا ونهارا . ودون الالتفات الى الخسائر ، كان انفاشيون يقذفون دائما بوحدات جديدة الى الاتون . وقد اشتعلت المدينة وتحولت الى حقل من الانقاض ، لكن المدافعين عنها لم يكونوا يتخلون دون قتال عن شارع واحد او منزل واحد .

لقد عين الجنرال ، الذي أصبح ماريشالا الان ، ايريمنكو قائدا أعلى لقوات هذه الجبهة . وكانت المهمة المباشرة للدفاع عن المدينة مؤمنة من قبل وحدات الجيش الثاني والستين تحت قيادة الجنرال تشوييكوف ، الذي أصبح ماريشالا الان هو أيضا . ولم يكتف الجنود السوفييات بالدفاع بل انتقلوا ايضا الى الهجوم بنفس الجراة . وقد أظهر قواد وجنود الفرقة الثالثة عشرة للحرس ( بقيادة الجنرال رودميتسيف ) قيمتهم الخارقة بانتقالهم الى الهجوم في مامايف كورغان ، فور وصولهم الى الجبهة . ان ارسال تعزيزات جديدة قد ضاعف عشرات المرات نشاط المدافعين وساعدهم على الصمود .



لقد دمر العدو ستالينغراد ولكنه لم يستولر عليها .

وناضل عمال المدينة جنبا الى جنب مع القوات وكانوا يعتطون الدبابات مباشرة في مشاغلم وينطلقون من هناك الى المعركة . وقد انخرط في الجيش السوفياتي اكثر من ٧٥ ألف شفيل من شفيلة المدينة .

احتدمت المعركة خلال اكثر من شهرين على ضفاف الفولغا . وكان هتلر الذي انتابه الغضب الشديد ينهال على قائد القوات الالمانية ، باولوس ، بالاوامر بالاستيلاء على المدينة بأي ثمن . لكن المدينة ظلت صامدة دائما .

وفي الوقت الذي كانت تستمر فيه المعركة ، فقد كانت القيادة العليا السوفياتية تأتي باحتياطات هامة . اما الويهرماخت فقد مني بخسائر فادحة لم تعوض تقريبا . وكانت النهاية تقترب . في ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٢ ، في الصباح الباكر ، خرق دوي المدفعية صمت السهوب . فان الوف فوهات النار قد صبت على العدو اعصارا عنيفا بصورة خارقة . وقد اسكت المدفعية النازية ، وطمرت الخنادق . واندفعت القوات السوفياتية الى الامام ، وانطلقت الوحدات المدرعة والميكانيكية الى الثغرات

وشرعت في شق طريقها الى الدون . وفي ظرف مئة ساعة ، فان  
طلائع القوات التي انطلقت من شمال وجنوب ستالينغراد قد  
أمنت الاتصال وأنجزت التطويق . وقد وقعت ٢٢ فرقة هتلرية  
( اكثر من ٣٠٠ ألف ضابط وجندي ) ، بين فكي الكماشة . وبعد  
احكام الطوق حول المحاصرين استأنفت القوات السوفياتية زحفها  
نحو الجنوب الغربي .

من اجل تجنب اراقة الدماء دون جدوى ، اقترحت القيادة  
السوفياتية على الوحدات المطوقة القاء السلاح . ولكن اطاعة لامر  
هتلر ، رفض العدو الاستسلام . وعندئذ شرعت جيوش جبهة  
السدون بقيادة الجنرال روكوسوفسكي ، الذي اصبح مارشالا  
الان ، في ١٠ كانون الثاني ١٩٤٣ بآبادة العدو عن طريق عزل وحداته  
بعضها عن البعض الاخر . وقد اسر الفيلد مارشال باولوس ، وهيئة  
اركانه وحوالي ٩٠ ألف جندي وضابط . وقد زال من الوجود  
الجيش السادس الالماني ، الذي كان قد ساهم فيما مضى ، في  
سحق فرنسا .

شهدت القيادة الالمانية مع دفن نخبة فرقها على الجبهة  
الالمانية السوفياتية ، دفن مشاريعها في استعباد الشعوب والفتح  
وانسيطرة العالمية . وخلال حملة شتاء ١٩٤٢ - ١٩٤٣ ، حرمت  
القوات السوفياتية العدو من اكثر من مئة فرقة أي ٤٠ ٪ من  
مجموع قوات جبهة الشرق في تشرين الثاني ١٩٤٢ . وقد خسر  
الويهرماخت مليوناً و ٢٠٠ ألف قتيل وأسير .

على هذا النحو انتهت هذه المعركة الكبرى . وقد وصف  
المؤرخ الالماني البورجوازي المعاصر ، غورليتس ، اهميتها على النحو  
التالي : « انها اعظم هزيمة سبق ان مني بها الجيش الالماني » .  
وكتب المؤرخ الايطالي باتاليا ، ان انتصار الجيش السوفياتي  
على الفولغا قد سجل « ذروة الحرب العالمية الثانية ، ليس على  
الصعيد العسكري فحسب ، بل ايضا من وجهة النظر  
السيكولوجية » . وفي حين أعلن الالمان أربعة أيام حداد وطني ،  
فان السوفياتيين وجميع الناس الشرفاء في الارض كانوا يبتهجون  
للانعطاف الذي اتخذته الحرب . وفي المعركة الكبرى على الفولغا،  
شهدت الانسانية بزوغ فجر الانتصار على النازية . وقد تضاعف  
النضال المعادي للفاشية مساعداً بذلك اتساع المقاومة في البلدان

الاوروبية المحتلة من قبل الهتلريين . واشتد النشاط السري في المانيا ذاتها ، باشتراك الوطنيين الالمان ، وكذلك الاسرى والمبعدين الروس ، والبولونيين ، والصرب ، والفرنسيين ، والبلجيكيين ، ومن رعايا بلدان عديدة اخرى . ان اللجنة الوطنية، لجنة « المانيا الحرة » ، التي تأسست في صيف ١٩٤٣ على الاراضي السوفياتية ، قد لعبت دورا كبيرا في حشد العناصر المعادية للفاشية لدى الشعب الالمانى .

### خيبرات جديدة

في صيف ١٩٤٣ كان الجيش السوفياتي يمثل قوة هائلة . وكانت الجبهة تتلقى من المؤخرة كمية اعظم دائما من الاسلحة والذخائر . وكانت قد انشئت جيوش مدرعة جديدة ، وتعزز الطيران ، واصبحت القوات تملك المزيد من المدافع ، والاسلحة الاوتوماتيكية ، ومدافع الهاون . وقد أصبحت لدى الرجال والملاكات خبرة اعظم في الحرب . وكانت حركة الانصار تتسع في مؤخرات العدو ، والقوات السوفياتية تستعد لمعارك حاسمة . وكان قسم هام من اراضي البلاد لا يزال محتلا من قبل النازيين وكان ملايين الناس ينتظرون بفارغ الصبر ساعة التحرر .

كان الويهرماخت يستعد لذلك هو ايضا . ونظرا لان الكارثة التي اصاب بها على ضفاف الفولغا قد اثارت غيظه الشديد ، كان يحشد الوسائل للثأر . واعلنت في المانيا التعبئة العامة . ورفعت قوات جبهة الشرق الى ٢٣٢ فرقة . وكان النازيون يطلقون آمالا كبرى على دبابات النمر والفهد وعلى مدفع فرديناند المقطور ذاتيا . وكانسوا يفكرون بأن تعزيز درع هذه الدبابات كان يجعلها منيعة امام المدفعية والدبابات السوفياتية . لكنهم كانوا سيئي الاطلاع على المدافع السوفياتية الجديدة التي ثبت انها قادرة على اختراق هذه الصفائح الفولاذية ، وكانوا يجهلون بطولة جنود الاتحاد السوفياتي التي تكونت في المعارك ، هؤلاء الجنود الذين لم يعد أي سلاح - معجزة قادرا على اربابهم . وقد اختار الفاشيون لهجومهم قطاع كورسك وبيلغورودو ، حيث كانت القوات السوفياتية قد اوجدت نساء بشكل قوس دائرة كان يخرق بصورة عميقة دفاع العدو . وبالضرب انطلاقا





لقد حرر القرية التي  
ابصر فيها النور .

من أوريل وبيلفورود ، كان النازيون يعتزمون القضاء على هذا  
النتوء وتطويق القوات الموجودة فيه . لكن القيادة السوفياتية  
فطنت لنوايا العدو واتخذت تدابيرها . ان هذا الطعم المفري جدا  
بالنسبة للنازيين قد حول الى معسكر محصن ، وعززت اطرافه ،  
التي كان النازيون يعتزمون مهاجمتها ، تعزيزا شديدا . وقد  
جاء بوحدة من المشاة ، والمدفعية ، والمدافع عديمة  
مضادة للدبابات ، وكمية كبيرة من الطائرات . وكان العدو يخضع  
لمراقبة دائمة .

في فجر ٦ تموز ١٩٤٣ ، تحرك الويهرماخت . وبدأت مئات  
الدبابات والمدافع ذات القطر الذاتي زحفها نحو المدافع السوفياتية.  
وفي الجو تجابهت الطائرات ، وبدأت معركة كورسك .

وقد وجه النازيون ضرباتهم الرئيسية نحو الاماكن المحددة  
التي كانت تنتظرهم فيها القوات السوفياتية مستعدة الى  
تحصينات متينة . الا ان الضغط الممارس كان قويا الى درجة  
انه اقتضى الكثير من الضحايا والعناد لصدده . ولم يعرف

التاريخ العسكري مثل هذا الحشد للرجال وللوسائل على مثل هذه المساحة الصغيرة . فعلى مسافة ٤٠ - ٥٠ كلم من جهتي كورسك احصي لدى الطرفين رقم يصل الى ١٠ آلاف دبابة ، ومدفع ذات قطر ذاتي . وكان عسبء المعركة الرئيسي يقع على كاهل رجال المدفعية . لكن هؤلاء كانوا يعرفون عملهم ، ولم تبرر دبابات النمر والفهد الآمال التي عقلت عليها . كان المشاة يقاتلون ببسالة ، وكان الطيارون يبدون كل مهارتهم . في تلك الفترة بالذات دشّن الرقيب كوجيلوب ، بطل الاتحاد السوفياتي ثلاث مرات ، والذي يحمل رتبة ماجور جنرال الان ، لوحة صيده . وقد تميز طيارون سوفياتيون عديدون آخرون مثل الكسنذر غوروفيتس ، الذي سجل في تحقيق واحد ، حادثا فريدا من نوعه ، اذ اسقط تسع طائرات عدوة .

ان الايام الاربعة الاولى من المعركة على محور اوريل - كورسك قد كلفت الويهرماخت اكثر من ٨٠٠ دبابة، واكثر من ٤٠ ألف جندي وضابط ، ومئات الطائرات . ولم يكن الألمان اسعد حظا في جنوب كورسك . وكانوا قد وجهوا ضربة قوية بصورة خارقة في اتجاه بروخو روفكا . وفي اعظم معركة دبابات عرفها التاريخ خسروا اكثر من ٤٠٠ دبابة في اليوم الاول للهجوم . كان الهتلريون يلهثون . وقد شهدوا تبخر كل الاحتياطي الذي قضوا ذلك الوقت الطويل في تكوينه . ولم يكتف السوفياتيون بالدفاع عن مواقعهم ، بل اوجدوا الظروف الملائمة لاستعادة المبادرة .

هكذا كان في الواقع هدف القيادة العليا السوفياتية . وفي صباح ١٢ تموز تحرك الجيش السوفياتي باتجاه اوريل ، وبلغورود ، وخاركوف . وقد خرقت الجبهة العدو بسرعة . ولم تستطع الهجمات المعاكسة الضارية ، من قبل القوات الجديدة التي احضرت على عجل ، وقف التقدم السوفياتي . وفي ٥ آب حررت اوريل وبلغورود ، وفي ٢٣ منه حررت خاركوف . وبدأت اوكرانيا تستعيد حررتها . وفي ٦ تشرين الثاني حررت كييف .

لم يظل الانصار الأوكرانيون على الهامش . فان فصائل كوفباك ، ورودينييف ، وسابوروف وغيرهم من القادة قد تميزت بغارات جريئة . وقد اظهر معجزات من الشجاعة جنود اللواء

الاول التشيكوسلوفاكي المستقل ذاتيا ، الذي انبثق عنه فيما بعد  
فيلق الجيش الشعبي التشيكوسلوفاكي .  
ان هزيمة الويهرماخت الساحقة في كورسك قد استهلت  
الكارثة . وقد اقتربت نهاية الكابوس .

\*\*\*

خلال عام ١٩٤٣ احرز الجيش السوفياتي نجاحات رائعة .  
وقد انقلب الوضع نهائيا لمصلحته ، واصبح الجذر الهتلري من  
الارض السوفياتية عاما . وتراجع خط الجبهة من ٥٠٠ الى  
١٣٠٠ كلم نحو الغرب . وتحررت ١٦٠ مدينة واكثر من ٣٨ ألف  
ناحية تضم عشرات الملايين من مواطنينا .

وقد حقق الجنود والضباط السوفيات الكثير من المآثر  
خلال الهجوم ، وفيما يلي نورد احداها :

في ٢٣ شباط ١٩٤٣ يوم الذكرى السنوية الخامسة  
والعشرين للجيش الاحمر ، فان السرية التي كان يخدم فيها  
الجندي البسيط في الحرس ، ماتروسوف ، قد تلقت الامر بطرد

لقد انتهت الحرب بالنسبة الى هؤلاء .



العدو من قرية تشيرنوشكي ( في مكان غير بعيد من مدينة فيليكييه لوكي ) .

ان فريق الجنود السوفيات بقيادة الملازم الاول ارتيوخوف كانت قد اوقفته النار القتالة لرشاش محصن . وكان ماتروسوف الذي اقترب الى مسافة ٤٠ مترا تقريبا ، يرى الطلقات العدو نحصد رفاقه . وكان الاحياء منهم المنطرحين ارضا في خطر . ولم يكن الامر قد نفذ بعد . وكان ينبغي اسكات الرشاش مهما كان الثمن . واجتاز الجندي الشاب قسما من المسافة بوضع قفزات ثم اخذ يزحف . والقى قبلة يدوية ، واطلق رذاذا من مدفعه الرشاش ، وسمع صـوت انفجار . وسكت الرشاش العدو . ونهض رفاق ماتروسوف ، لكن رشاش العدو استأنف رميه وانطرح الجنود على الارض تكرارا . وقد تعرقل الهجوم مرة اخرى . وعندئذ انطلق ماتروسوف الى الامام وغطى الكوة بجسده . وبعدئذ سككت فوهة النار العدو ، وانطلق السوفياتيون واجلوا العدو عن القرية .

ان سرية الحرس المائتين والخامسة والعشرين ، التي حارب فيها ماتروسوف ، قد أصبحت تحمل اسمه . وقد قلدته هيئة السوفيات الاعلى للاتحاد السوفياتي ، بعد الوفاة ، لقب بطل الاتحاد السوفياتي ، وشيد تخليدا لذكراه صرح في مسقط رأسه ، في مدينة أوبا . ان مآثرة ماتروسوف ليست فريدة من نوعها . وهناك الوف الابطال أمثاله في صفوف الجيش السوفياتي .

### الويهرماخت في طريق الافول

كانت معنويات السوفياتيين ممتازة في عام ١٩٤٤ ؛ ففي موسكو كانت تدوي بصورة متكررة اكثر فاكثر طلقات المدفعية تحية للانتصارات المحرزة . وكانت النجاحات تتكدس وقد انتزع كل منها بعد جهد ضار .

وفي كانون الثاني ١٩٤٤ ، دحرت قوات جبهتي لينينغراد وفولخوف ( بقيادة الجنرالين غوفوروف وميرتسكوف ) وبمساعدة اسطول البلطيق والانصار ، الوحدات العدو التي كانت تطوق لينينغراد وقذفت بها الى مسافة تبعد مئات الكيلومترات عن المدينة .



وبعد ذلك استأنف الجيش السوفياتي عمله في أوكرانيا .  
وفي أوج فترة ذوبان الجليد ، فإن جبهتي أوكرانيا الأولى والثانية  
( بقيادة الجنرالين فاتوتين وكونييف ) قد دحرتا وحدات نازية  
هامة على الضفة اليمنى للدنيبر . وقد طوقت ودمرت قرب مدينة  
كورسون - شيفتشنكوفسكي عشر فرق ولواء ( ٨٠ ألف  
جندي وضابط ) .

ووجهت قوات الجبهتين الأوكرانيتين الثالثة والرابعة  
( بقيادة الجنرالين مالينوفسكي وتولبوخين ) ضربات قاسية إلى  
العدو في جنوب أوكرانيا ، واجتازت في كريفوي روغ وآبوستولوفو  
البوغ الجنوبي ، ثم الدنيستر المرتفع المياه . وفي نهاية آذار ،  
هاجمت الجبهة الأوكرانية الثالثة نيقولايف وأوديسا .

كان ذوبان الثلوج يجعل الطرق غير صالحة للسلوك . وكان  
الجنود أنفسهم ، وبمساعدة متطوعين من السكان المحليين من  
نساء ، واحداث ، ومسنين ، يحملون المدافع ، والقذائف ،  
والالغام ، وصناديق الذخيرة . ولم تلبث أن سقطت نيقولايف  
تم تبعثها أوديسا في ١٠ نيسان .

ان قوات الجبهتين الأوكرانيتين الأولى والثانية التي قطعت  
أوصال دفاع العدو ودحرت الوهرماخت ، قد حررت فينتسا ،  
وكامينيتس - بودولسك ، وتشيرنوفتسي ، واجتازت البروت  
وبلغت حدود تشيكوسلوفاكيا ورومانيا . وخرج مسرح العمليات  
من الأراضي السوفياتية .

« أعيدوا القرم ! » . هذه الصيحة دوت في ٨ نيسان  
١٩٤٤ . وبدأت الجبهة الأوكرانية الرابعة هجومها ضد الـ ٢٠٠  
ألف نازي الذين كانوا قد تحصنوا في شبه الجزيرة . وفي ظرف  
يومين خرقت خطوط بيريكوب . وفي الوقت نفسه فإن جيش  
الساحل المستقل ( بقيادة الجنرال ايريمكو ) ، تدعمه سفن  
أسطول البحر الأسود ، نظف شبه جزيرة كيوتش . ان السوفياتيين  
الذين كانوا يلاحقون العدو المنسحب قد حرروا سيمفيربول  
وانطلقوا نحو سيباستوبول . وقد واجههم العدو بمقاومة ضارية .  
وقد حول جبل سابون ، في مشارف المدينة ، إلى نقطة ارتكاز  
خطيرة . وقد مضى على العدو يومان من المعارك الضارية أبدى  
فيها جنودنا معجزات من البطولة والشجاعة . وفي ٩ أيار عادت

سيباستوبول الينا .

وجاء تكرارا دور الشمال في التحرر . ففي كاريليا خرقت قوات جبهتي لينينغراد وكاريليا في حزيران ١٩٤٤ دفاع العدو وحررت بتروزا فودسك وفيبورغ ، وقضي على الخطر الذي كان يخيم على لينينغراد انطلاقا من الشمال .

ان الهتلريين الذين أصبحوا على عتبة انهيار كامل اضطروا لان يسحبوا من الغرب على عجل عشرات الفرق . وكان من المؤكد ان الجيش السوفياتي ، حتى دون جبهة ثانية ، كان قادرا تماما على التغلب على الغزاة .

وبالاستفادة من واقع ان القسم الاكبر من قوات هتلر كانت منشغلة في الجبهة السوفياتية ، نزلت القوات الانكليزية الاميركية في بداية حزيران ١٩٤٤ في الشواطئ الشمالية لفرنسا ، وفتحت بذلك الجبهة الثانية في اوروبا . ان المساعدة المقدمة للاتحاد السوفياتي ، وان تكن متأخرة ، لكنها كانت مع ذلك مساعدة فعلية . بيد ان مسرح العمليات الرئيسي ظل مسرح الشرق . وقد بقيت محشودة فيه ثلاثة ارباع القوات النازية ، وكان ملايين الناس لا يزالون مستعبدين .

جرت المعارك الرئيسية في عام ١٩٤٤ من اجل بيلوروسيا . وكان العدو قد حشد فيها اكثر من مليون مقاتل مزودين ، بوفرة ، بالمعدات الحديثة . وكانت نخبة هذه القوات قد تلقت الامر بسد « باب المانيا » بأي ثمن .

ان بيلوروسيا هي منطقة غابات ، وانهر ، ومستنقعات ، سهل الدفاع عنها . لكن هذه العقبات لم تكن لتستطيع تثبيط عزائم السوفياتيين .

وانتقلت الى الهجوم في ٢٣ حزيران ١٩٤٤ قوات الجبهات الاولى والثانية والثالثة لبيلوروسيا وقوات جبهة البلطيق الاولى ( الجنرالات روكوسوفسكي ، وزاخاروف ، وتشيرنياخوفسكي ، وباغراميان ) ، وخرقت الجبهة ووضعت خارج المعركة القسم الاكبر من القوات التي كانت تجابهها . وامام فيتبسك وبوبرويسك طوقت وأبیدت قوات تصل الى عشر فرق . وفي ٣ تموز سقطت منسك التي وقع فيها فسي الشراك اكثر من ١٠٠ الف نازي . وفي نهاية تموز نظفت بيلوروسيا والقسم الاكبر من لتوانيا ، وتم



### المدفعية المضادة للطائرات تراقب

الوصول الى نهر الفيستول . وقد حمل الجنود السوفيات الحرية  
انى أشقائهم البولونيين ، واجتسازوا نهر النيمان ووصلوا الى  
حدود ألمانيا .

سجل الشعب السوفياتي حصادا جديدا من المآثر . ونود  
أن نشير الى صلاية الكومسومولي يوري سميرنوف ، جندي  
الحرس البسيط . فهذا الجندي الذي جرح أمام اورشا ، وقع  
في قبضة العدو . وأمانة منه لقسمه لم ينبس ببنت شفة تحت  
التعذيب ولم يدل بأية معلومات ومات ميتة الأبطال . وفي مكان  
غير بعيد عن بوبروويسك ، فان الرقيب ميخائيل بوختيف قد  
وجه دبابته التي أشعل النازيون النار فيها نحو قطار مصفح  
كان يسد بمدفعيته الطريق أمام قواتنا . وقد صدم بوختيف  
بأقصى السرعة وسط القطار ودمر ثلاثة مواضع قتال تحمل  
أبراجا مسلحة لمدافع ورشاشات . وعندئذ استطاع فوج الدبابات  
الذي ينتمي اليه ، احتلال المحطة دون خسائر .

قدم الانصار للجيش السوفياتي مساعدة قيمة جدا فسي  
معارك بيلوروسيا التي عمل في أراضيها أكثر من ٣٠٠ ألف نصير.

وكانت توجد مناطق كاملة لم يكن المحتلون يجرؤون على الظهور فيها . وكان الانصار يسيطرون على ٢٠ مركز قضاء وعلى الوف النواحي . ومنذ بداية الهجوم السوفياتي ، شدد الانصار حرب السكك الحديدية ، فاحتلوا عقد المواصلات ، ونقاط المرور الرئيسية ، وزرعوا الذعر في مؤخرة العدو ، ووجهوا الضربات الى المحاربين النازيين . ان اسماء الانصار زاسلانوف ، وكوزلوف وغيرهما معروفة جيدا لدى السوفياتيين . وكان الناس يلتحقون بالانصار اسرا سرا . وهكذا فان الابناء الخمسة والبنات الخمس للفلاح تيلبوك قد انشأوا مفرزة قامت بهجمات جريئة ضد النازيين . اشترك في هذا النضال مئات الوطنيين من بلدان اخرى . وكان بين صفوف الانصار البيلوروسيين عدد كبير من الاجانب . وتقديرا لاشتراكهم الفعال في معارك الانصار في بيلوروسيا والمآثر المحققة تجاه العدو ، منحت اوسمة ومداياات سوفياتية الى ٧٠٣ بولونيين ، و ١٨٤ سلوفاكيا ، و ٣٣ تشيكيا ، و ٣٦ يونانيا ، و ٢٥ المانيا ، و ٢٤ اسبانيا ، و ١٤ فرنسا ، و ٦ يوغوسلافيين ، ومجريين اثنين ، و ٨ نمساويين ، وممثلين عديدين لشعوب اخرى .

وفي منتصف تموز ، حشدت قوات الجبهة الاوكرانية الاولى ، بقيادة المارشال كونييف ، سيرها عبر اوكرانيا الغربية . وقد حطمت مقاومة العدو الضارية وتعرض الويهرماخت لخسائر فادحة في الرجال والعتاد . وعادت من جديد مدن لفوف ، ودروغوبيتش ، وستانيسلاف سوفياتية ، وتم اجتياز حدود بولونيا واحتلال مواقع ملائمة من اجل استئناف الهجوم نحو الغرب .

وفي آب ١٩٤٤ طوق السوفياتيون ودمروا ، في منطقة كيشينيف وجاسي ، ٢٢ فرقة المانية وعدة فرق رومانية . وقد تميزت قوات المارشال مالينوفسكي بصورة خاصة في هذه المعارك التي شهدت تحرير عاصمة مولدافيا السوفياتية ، كيشينيف . وفي خريف ١٩٤٤ كان مجمل الاراضي السوفياتية قد تحرر من المحتلين ، وبقي فقط قسم من جمهوريات البلطيق بين ايدي العدو . ولكن هناك ايضا أصبحت ايامه معدودة . فان هجوما قويا من قبل جبهتي لينينغراد والجمهوريات البلطيقية ، يدعمه اسطول البلطيق ، قد وضع النازيين في وضع حرج ، وحشر



٣. فرقة بين ليبسافا وتوكومس ، لم تلبث أن أيدت . وتخلت فنلندا عن تحالفها مع هتلر . واصلت الحرب ضده .

شرعت القوات السوفياتية عندئذ في تحرير الشمال الكبير حيث كان لا يزال العدو باقيا منذ ثلاثة أعوام . وقد تغلب البحارة السوفيات بصورة ساطعة على العدو بالرغم من البرد الكبير ورياح القطب الشمالي الثلجية . وتميز بصورة خاصة بحارة الفواصات بقيادة الربانة كوليشكين ، وستاريكوف ، وفيسانوفتش ، ويوسيليانى ، وشتشدرين ، وبحارة الزوارق السريعة بقيادة شابالين ، بطل الاتحاد السوفياتي مرتين . ولم يتخلف عنهم طيارو الطيران البحري . ففي نهاية العام الاول من الحرب اسقط بوريس سافونوف ، بطل الاتحاد السوفياتي مرتين ، ٢٨ طائرة نازية . وقام فريق الاستكشاف البحري بقيادة فكتور ليونوف بأكثر من ٥ غارة على مؤخرات العدو .

بعد ان حررت قواتنا الشمال الاقصى السوفياتي ، ساعدت النرويجيين في طرد المحتل من المناطق الشمالية لبلادهم .

وقد انتهى عام ١٩٤٤ نهاية ساطعة للاتحاد السوفياتي . فان ١٢. فرقة عدوة كانت قد وضعت خارج المعركة ، وحرر مجمل الاراضي . وجاء الان دور الشعوب الاوروبية الاخرى في نفض النير الفاشي .

وتشكلت في تلك الاعوام رابطة للشعوب ، حقيقية عالمية ، معادية للفاشية . وعلى نطاق الدول فقد كان الائتلاف بقيادة الاتحاد السوفياتي ، وانكلترا ، والولايات المتحدة ، التي انضمت اليها بالتالي فرنسا المحاربة ودول عديدة اخرى .

ولم ينس السوفياتيون ان شعوب انكلترا وفرنسا قد خاضت النضال ضد النازيين قبل ان اجتاحت هؤلاء الاتحاد السوفياتي بزمان طويل ، وانها خاضت المعركة بشجاعة لا تكل طوال مدة الحرب . وبالا معادة من تأييد المقاومة في بلدان عديدة ، فقد هاجم الانكليز ، والفرنسيون ، والاميريكيون ، النازيين بشدة . ونود ان نشير الى الهجوم الانكليزي في العلمين ، في خريف ١٩٤٢ ، والانزال الانغلو - اميركي في افريقيا الشمالية ، في تشرين الثاني من نفس العام ، الذي انتهى بالتحرير التام لهذه



هكذا كان سكان القرى المحررة يرحبون بالجنود السوفييتيين .

المنطقة في أيار ١٩٤٣ ، وحملة صقلية في صيف ١٩٤٣ ،  
والانتصارات المحرزة في إيطاليا الجنوبية اعتبارا من ايلول ١٩٤٣ ،  
واخيرا ، والشيء الاهم ، نزول الحلفاء في النورماندي في  
حزيران ١٩٤٤ ، الذي عقبته سلسلة من العمليات الهامة جدا  
للقوات الاميركية ، والاتكليزية ، والفرنسية في اوروبا الغربية  
حتى الالتقاء مع القوات السوفياتية على نهر الالبه .

## الرسالة التحررية للجندي السوفياتي

. الا ان حرية عشرات ملايين الاوروبيين قد احرزت بصورة رئيسية بفضل النضال المسلح الذي خاضه خلال ثلاثة اعوام المحاربون السوفيات على اراضيهم .

وقبل التصدي للاتحاد السوفياتي ، كان النازيون قد استعبدوا التشيكيين ، والسلوفاكيين ، والبولونيين ، والفرنسيين ، والبلجيكيين ، والهولنديين ، والدانماركيين ، واليونانيين ، والصربيين ، والالبانيين ، والنرويجيين ، في حين ان الحكومات الموالية للفاشية في بلغاريا ، والمجر ، ورومانيا ، كانت قد وضعت من تلقاء ذاتها بلدانها تحت تصرف هتلر . وكانت انكلترا مهددة بالغزو . وكان النازيون يريدون ان يجعلوا ، كمستعمرات لهم ، البلدان الافريقية ، والشرقيين الاوسط والادنى . ثم هل ان شعبي المانيا وايطاليا كانا ايضا احرارا من الاضطهاد ؟

ان « النظام الجديد » الذي اقامه المحتلون في البلدان التي سيطروا عليها ، كان يعني الارهاب ، والعنف ، والاستعمار اللاانساني ، والاهانة للشعور الوطني للشعوب . وقد كسبت اوروبا بشبكة من معسكرات الاعتقال ، و « مصانع الموت » الرهيبة . ولا يمكن ان نشير دون ارتعاش الى مؤسسات الابادة التي تمثلت في داشو ، واوشويتس ، ومايدانيك ، وبوخونوالد ، وساشسنهوزن ، حيث قتل ملايين الاوروبيين .

لم تقبل شعوب البلدان المحتلة سيطرة الفزاة . وقد خاضت النضال في سبيل القضية المقدسة لحريتها . ان فصائل وجيوش الانصار ، ومجموعات المقاومة ، والشبكات السرية المعادية للفاشية ، كانت تضم مئات الالف الوطنيين ، ملحقة بالمحتل وخدمه خسائر ملموسة ، ومرغمة العدو على تخصيص قوات هامة لتفطية مؤخراته .

ان الانتفاضة الباريسية في ١٩ - ٢٥ آب ١٩٤٤ ، التي اشترك فيها ٨٥ الف وطني ، تشكل صفحة من الصفحات الاكثر بطولية للنضال المعادي للفاشية . ان جميع السكان ، الذين استأنفوا تقاليدهم الثورية ، قد دعموا محاربيهم . وفضلا عن باريس فقد حرر الشعب الشائر بنفسه قبل وصول القوات الحليفة ، مرسيليا ،





• لعية القذائف الصاروخية « كاتيوشا » .



وليون ، وتولوز ، وكليرمون - فران ، ومقاطعات بأسرها . وقد لاقى مئات الوف الفرنسيين في هذا النضال موتا مجيدا . وتعرض الحزب الشيوعي لخسائر ملموسة جدا ( حوالي ٧٥ ألف رجل ) الامر الذي اكسبه اسم « حزب الشهداء » .

وقدر السوفيياتون ارفع التقدير النصيب الذي ساهمت به شعوب وجيوش انكلترا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة ، ووطنيو بلدان عديدة في العالم ، في النضال ضد الهتلرية . وهم لن ينسوا ابدا اسماء الطيارين المجيدين في سرب نورماندي - نيمن ، بيار بوياد ، وجاك اندره ، ولابويب ، ولويس دلفين ، ورفاقهم . وهم لن ينسوا التشيكي جون ناليكا الذي منح لقب بطل الاتحاد السوفيياتي تقديرا لماثره في حركة الانصار في اوكرانيا . ولن ينسوا جنود وضباط الجيش البولوني والفيلق التشيكوسلوفاكي الذين خاضوا معاركهم الاولى في اراضي الاتحاد السوفيياتي الى جانب جنودنا .

وفي عام ١٩٤٤ ، طاردت القوات السوفياتية خارج حدودها الوحش الفاشي المثخن جراحا والذي كان لم يزل بعد خطرا . وكان المحاربون السوفييات مفعمين بالانفعال لدى دخولهم اراضي البلدان الاخرى ، التي لم يكونوا بالنسبة لها غزاة ومضطهدين ( بكسر الهاء ) ، بل محررين . واصدقاء ، واشقاء . وكانت الشعوب تنظر اليهم بهذا الشكل .

**رومانيا :** دخلت قواتنا اراضي رومانيا في ربيع ١٩٤٤ . ان سحق مجموعة كيشينيف - جاسي ( آب ١٩٤٤ ) قد اوجد ظروف تحرر البلاد كلها . وخاض الشعب الروماني النضال ضد حكومته الرجعية التي اسقطها في ٢٣ آب . وفي ٣١ من الشهر نفسه ، رحب سكان بوخارست ترحيبا حماسيا بالمحاربين السوفييات . وقطعت البلاد علاقاتها مع المانيا وساهمت قواتها في المرحلة النهائية للمعارك ضد النازيين .

**بولونيا :** ان بولونيا، بضحاياها الذين يبلغ عددهم ستة ملايين ( ٢٠ ٪ من السكان ) كانت قد عرفت في ظل الاحتلال النازي استشهادا حقيقيا . وقبل وصول الجيش السوفيياتي ، فان الوف الوطنيين المحتشدين داخل المنظمتين العسكريتين ( غفارديا نيودوفا وآرميا ليودوفا ) كانوا قد سبق ان بدأوا القتال ضد

المحتل . وفي ٢٢ تموز دخلت قوات الجبهة البولوروسية الاولى الى بولونيا وحررت شيلم ، ثم حررت في ٢٤ تموز مدينة لوبلن . وفي ٢٦ تموز ١٩٤٤ أصدرت الحكومة السوفياتية بيانا حول اهداف عملياتها اعلنت فيه ان الجيش السوفياتي يحارب في بولونيا باعتباره في اراضي دولة ذات سيادة وصديقة وانه لن يقيم فيها تراكيب ادارية ويعتبر ان ذلك هو من اختصاص الشعب البولوني . وهذه هي سياسة الاتحاد السوفياتي في علاقاته مع جميع البلدان التي منحها مساعدته ضد المحتلين الفاشيست .

وذكر رئيس الكراجوا رادا نارودووا ، بوليسلاف بايروت ، في خطابه في ٣١ كانون الاول ١٩٤٤ ما يلي : « نولا مساعدة الاتحاد السوفياتي ، لما كانت بولونيا قادرة بقواتها لوحدها ان تتحرر من العبودية الهتلرية . وحصلت بولونيا على المساعدة المطلوبة لاعادة تكوين جيشها ولاعادة استقلالها .

وكان الشعب السوفياتي هو الذي قدم هذه المساعدة . فان اعمال جيشه قد أدت في ١٧ كانون الثاني ١٩٤٥ الى تحرير فرصوفيا ثم بعد وقت قصير الى تحرير بولونيا كلها . وانقذ







في بولونيا .

الزحف السريع للجيش السوفياتي ، خلال شتاء ١٩٤٥ ، من الموت ألوف المعفين في معسكري مايدانيك وأوشويتز . واشترك الى جانب قواتنا في تحرير بولونيا وفي معركة برلين الجيشان البولونيـان الاول والثاني ، اللذان جهزهما الاتحاد السوفياتي .

**تشيكوسلوفاكيا :** كانت تشيكوسلوفاكيا من الضحايا الاولى للسياسة النازية . وخاضت القوات السوفياتية والفيلق التشيكوسلوفاكي المؤلف من الوطنيين التشيكيين في الاراضي السوفياتية، النضال في سبيل تشيكوسلوفاكيا في خريف ١٩٤٤ . ودشنت معركة مضيق دو كلا تحرير هذه البلاد الذي عجلته الانتفاضة الشعبية انسـلوفاكية . ومنع دخول الوحدات السوفياتية الى سلوفاكيا





سكان دميتروفسكي - اورلوفسكي وكهنها يحيون الجنود الذين طردوا الفاشست.

الهنلريين من ان يحققوا بنجاح الانتقام الوحشي الذي كانوا يفكرون بالقيام به ضد السكان والانصار في هذه البلاد . وكتب التشيكوسلوفاكي ستافان راجس ما يلي : « لقد رحب الشعب السلوفاكي بمحاربي وضباط الجيش الاحمر باعتبارهم اشقاء . وقدم السكان لضيوفهم الاعزاء الآتين من الشرق الخبز والملح واستقبلوهم بالترحاب الشديد ، وبأذرع مفتوحة ، ودموع الفرح والحب ، وبالأقوال المنفعلة اعترافا بالجميل على هبة الحرية... » وادت الاعمال المشتركة للقوات السوفياتية والتشييكوسلوفاكية في ٩ ايار ١٩٤٥ الى تحرير مجمل اراضي البلاد .

ان كليمنت غوتوالد ، الذي اصبح بالتالي رئيسا لجمهورية تشيكوسلوفاكيا ، قد اعرب ايضا عن شكر شعبه لمحاربيه بالعبارات التالية : « في دوكيل ولد الشعار الذي ترسخ بعمق في قلب وضمير شعبنا : مع الاتحاد السوفياتي الى الابد ! » .

**بلغاريا :** ان شعب بلغاريا مرتبط بالشعب الروسي بروابط قديمة، بصداقة نشأت في القرن الماضي اثناء النضال المشترك ضد النير



التركي . وهذا ما تذكر به الصروح العديدة المشيدة في بلغاريا تخليداً لذكرى الجنود الروس .

وكانت الحكومة الملكية البلغارية ، خلافاً لارادة شعبها ، قد فتحت أراضيها أمام جيوش هتلر . الا ان الرجعية نظراً لمعرفتها مشاعر الصداقة بين الشعبين البلغاري والروسي ، لم تقدم على ارسال قوات بلغارية الى الجبهة الالمانية السوفياتية . وقد خاض الوطنيون البلغار خلال الحرب نضالاً شجاعاً ضد الفاشية .

في ٨ ايلول ١٩٤٤ ، اجتاز الجيش السوفياتي ، على مدى واسع . الحدود البلغارية . وقد استقبله الشعب باعتباره محرراً له ومنحه مساعدته التامة . وكتبت صحيفة **اوتشيبستفني فرون**ت الصادرة في الجبهة ، في ١٢ ايلول « ان الطريق الذي سلكه الجيش الاحمر نحو العاصمة قد اكتسى بالزهور » .

وشكل الوطنيون البلغار ، بقيادة الشيوعيين ، حتى قبل وصول القوات السوفياتية ، اكثر من ٦٠ وحدة كبيرة من الانصار واعدوا انتفاضة مسلحة ضد المحتلين وخدمهم . وقد شن الهجوم في ليل ٩ ايلول ١٩٤٤ ، واسقطت الديكتاتورية الفاشية ، وانتقل الحكم الى ايدي حكومة الجبهة الوطنية التي انشأها الشعب . وفي ١٦ ايلول دخلت القوات السوفياتية الى صوفيا .

اعلنت الحكومة الجديدة الحرب ضد المانيا والمجر ، واقتت ضد المعتدين بجيش يتألف من نصف مليون جندي ، اشترك الى جانب الجيش السوفياتي في تحرير يوغوسلافيا ، والمجر ، والنمسا .

وكان برنامج الجبهة الوطنية البلغارية ، الذي اقر في شباط ١٩٤٨ ، ينطوي على ما يلي : « ان وجود القوات السوفياتية الشقيقة في اراضي بلغاريا قد حال دون احتلالها من قبل القوات العسكرية لبعض البلدان الامبريالية التي كانت ستخفق الانتفاضة الشعبية وستجعل من بلغاريا حصناً للرجعية » .

وهكذا فان النضال ضد المظطهدين ( بكسر الهاء ) الاجانب قد وثق روابط الصداقة بين الشعبين الشقيقين .

**يوغوسلافيا :** خاضت يوغوسلافيا النضال ضد النازيين فور دخولهم الى البلاد . وشكل الوطنيون اليوغوسلاف فصائل هامة ، ثم في عام ١٩٤٢ شكلوا جيش تحرير وطني حمد عدة فرق عدوة . واصيبت



### الهجوم مستمر .

شعوب يوغوسلافيا بخسائر فادحة : مليون و ٧٠٠ ألف رجل ، أي ١٠ ٪ من مجموع السكان . ومع اقتراب الجيش السوفياتي ارتدى النضال المسلح للشعب اليوغوسلافي اتساعا جديدا . فقد أمن الوطنيون السيطرة على مناطق كاملة في البلاد . الا ان اكثريه المدن وثلاثة ارباع اراضي البلاد تقريبا ظلت في ايدي الهتلريين . وفي خريف ١٩٤٤ بلغت قوات الجبهة الاوكرانية الثالثة الحدود . وطلبت القيادة السوفياتية من اللجنة الوطنية لتحرير يوغوسلافيا ، حكومة البلاد الشرعية ، اعطاء موافقتها على الوجود المؤقت للقوات السوفياتية في اراضيها كي تضمن على نحو افضل نجاح العمليات الجارية ضد العدو المشترك . وقد اعطيت هذه الموافقة .

اتاحت الاعمال المشتركة لقوات البلدين في ٢٠ تشرين الاول تحرير بلغراد ثم مجمل اراضي يوغوسلافيا .

وفي الخطاب الذي القاه المارشال تيتو في ٢٨ تشرين الاول ١٩٤٤ ، في العرض المنظم احتفالا بتحرير العاصمة اليوغوسلافية ، اعلن ما يلي : « اثناء المعارك في سبيل بلغراد ، اتحد محاربو الجيش الاحمر المجيد وجنودنا في النضال المشترك ... وقد ارتوت جميع شوارع بلغراد بدم كل شعوب يوغوسلافيا وابطال

الجيش الاحمر . ابناء الاتحاد السوفياتي العظيم . وهذا بالتحديد هو الذي يعطي الاهمية التاريخية الخارقة للنضال في سبيل بلغسراد » .

**المجر :** في عام ١٩٤١ ، وخلافا لمصالح شعبها ، اقحمت المجر من قبل حكومتها الموالية للفاشية في الحرب ضد الاتحاد السوفياتي . وتحت ضغط هتلر واصلت قواتها المعركة حتى ربيع ١٩٤٥ الى جانب الالمان .

فتحت النكبات التي أنزلت بالويهرماخت على المحور الجنوبي الغربي ، في خريف ١٩٤٤ ، أمام الجيش السوفياتي ، أبواب المجر . وفي نهاية ايلول ، فان قوات الجبهات الإوكرانية ، الثانية ، والثالثة ، والرابعة ، شنت هجوما قويا كان من أهدافه وضع المجر خارج المعركة ، وقد دعمها في ذلك اسطول الدانوب .

وجرت معارك ضارية بلغت شدة قصوى في منطقة بحيرة بالاتون وأمام بودابست . وأبدى العدو الذي كان قد أحضر تعزيزات ضخمة ، مقاومة ضارية . ودفع الجيش السوفياتي ثمنا باهظا لانتصاره على قوات المجر العدو . وبالمقابل تمتع بمساعدة فعالة من قبل الجيشين الروماني والبلغاري .

في ١٣ شباط تم الاستيلاء على بودابست ، وفي ٤ نيسان ١٩٤٥ ظهر مجموع اراضي المجر .

وعلى جبل جيليرت في بودابست أقيم نصب تذكاري تخليدا لذكرى الجنود السوفيات الذين خلصوا المجر من مضطهديها الفاشيين . وقد نقشت على المسلة العبارة التالية : « اعترافا من الشعب المجري بجميل الابطال السوفياتيين ، محرريه » .

**النمسا :** كانت النمسا اول فريسة للنازيين . ونظرا لان هتلر كان يعتبر النمساويين بمثابة المان تقريبا ، فقد جندهم في الويهرماخت . واذا كان الشعب النمساوي لم يكف أبدا عن التوق لاستقلاله ، الا انه لم يستطع استعادة هذا الاستقلال الا بعد هزيمة النازيين وتحرير النمسا .

وكانت اللحظة الحاسمة لذلك ، تحقيق القوات السوفياتية لعملية فيينا التي خاضتها في ١٦ اذار ١٩٤٥ وحدات الجبهتين الأوكرانيتين الثانية والثالثة واسطول الدانوب . وبالرغم من ضراوة مقاومته ، فان العدو قد تراخت عزيمته . وفي ٥ نيسان



### الهجوم بالاسلح الابيض

كانت المعارك قد بدأت في مشارف المدينة حيث طوق السوفييتيون ووضعوا خارج المعركة قسوات هامة . وفي ١٣ نيسان حورت العاصمة النمساوية . وفي الوقت الذي دخلت فيه القوات الحليفة الى القسم الغربي من البلاد ، انجز جنودنا تطهير المناطق الشرقية . ان الاهداف الحربية للجيش السوفياتي في النمسا قد حددت في بيان حكومة الاتحاد السوفياتي الصادر في ٩ نيسان ١٩٤٥ ، الذي جاء فيه :

« ان الجيش الاحمر المنصرف الى ملاحقة ودحر الفاشيين الالمان ، قد اجتاز حدود النمسا وطوق عاصمتها فيينا .



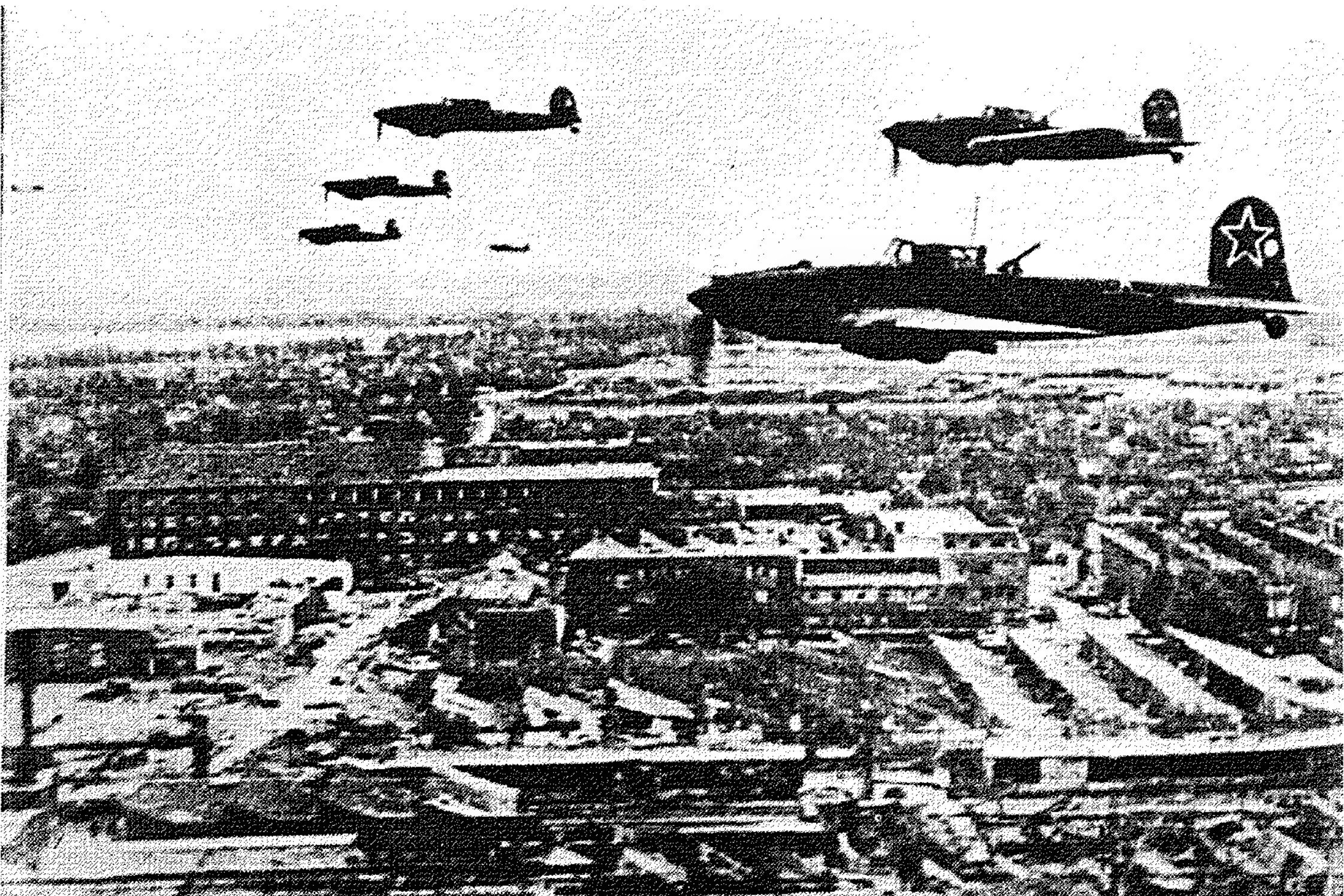
« والحكومة السوفياتية ليس لها أي مطمع في أي جزء من أراضي النمسا وهي لا تسعى إلى تغيير نظامها الاجتماعي . وتتمسك الحكومة السوفياتية بوجهة النظر المعروضة في بيان موسكو للحلفاء حول استقلال النمسا ، وستطبق هذا البيان ، وستساهم في تصفية نظام الاحتلال النازي وإعادة النظام والمؤسسات الديمقراطية إلى النمسا » .

إن نجاحات الجيش السوفياتي في شرق وجنوب شرقي أوروبا ، وكذلك في النرويج ، قد نشطت النضال المسلح للشعوب وساعدتها على التخلص من محتليها .

وقد تطلبت إعادة حرية واستقلال الشعوب الأوروبية ، من المحاربين السوفيات ، تضحيات بطولية وكلفتهم أحيانا كثيرة حياتهم .

واحتفظت الشعوب العارفة للجميل بفكرة رفيعة عن القيمة العسكرية لابناء روسيا الأمجاد وعن شجاعتهم ، عن أولئك الذين مدوا لها في اللحظة الحرجة يدا أخوية . وقد شيدت تكريما لمجريها صروحا عديدة مثل التي يمكن مشاهدتها في صوفيا وبوخارست ، وبراغ ، وفيينا ، وبودابست ، وفرصوفيا ، وبلغراد ،

طائرات المهاجمة في طريقها إلى هدفها .





برلين ؟ ليست بعبدته .

ونارفيك وفي مدن اوروبية عديدة .

ان ألوف السوفيياتيين الذين حاربوا في وحدات الانصار  
وفي الشبكات السرية في فرنسا ، واطاليا ، وتشيكوسلوفاكيا ،  
وبولونيا ، وفي بلدان أخرى قد أبدوا شجاعتهم وتضامنهم السخي .  
وقد ضمت وحدات الانصار الإيطالية ، وكذلك بعض الفصائل  
الروسية المشكلة في اراضي ايطاليا ، ألوف الاسرى السوفيياتيين  
الفارين من المعسكرات . وحقق بطولات مجيدة جدا محاربو فوج  
الصدام الروسي الذي عمل في اميليا ( ايطاليا ) في عام ١٩٤٤ ؟  
والذي كان بقيادة السيبري فلاديمير بيريلادوف ، الذي قلد  
بالتسالي مداليتين ذهبيتين . ان فيدور بوليتايف ، الحندي  
السوفيياتي من ريازان الذي حصل بالتالي على لقب محارب  
غاريبالدي ، معروف جيدا من قبل الشعب الايطالي الذي ضحى  
بحياته في سبيل حريته .



واستحق الضابط السوفياتي فاسيلي بوريك ان يدفن في مقبرة بير - لا شيز ، تقديرا للبراعة التي ابدتها على راس فصيل من قوات القناصة الانصار في با - دو - كاليه . « لقد ناضلوا معنا في سبيل فرنسا وفي سبيل وطنهم » ، على هذا النحو وصفت صحيفة باريسية نضال السرية الاولى للانصار السوفياتيين في فرنسا بقيادة الكسندر كاساريان . وفي ربيع ١٩٤٤ فان ٣٥ مجموعة مشكلة من الاسرى السوفياتيين الفارين كانت تحارب المحتل النازي في اراضي فرنسا .

### راية النصر تحقق في اسماء برلين

كان عام ١٩٤٥ ، العام الرائع للانتصار النهائي على الفزاة الفاشيست . لكن تحقيق هذا النصر قد كلف مزيدا من الجهود والتضحيات ايضا .

ففي بداية العام كان العدو لا يزال يسيطر على قسم كبير من اوروبا الشرقية ويحوز قوى هامة (١) . لكن قوات الاتحاد السوفياتي وحلفائه كانت متفوقة بصورة بارزة . وكانت الحرب تقترب بمقدار اكبر دائما من المانيا ، من الجحر الذي انطلق منه الفزاة .

وفي كانون الثاني ١٩٤٥ ، شن الجيش السوفياتي هجوما قويا من البلطيق الى الكربات على جبهة طولها ١٢٠٠ كلم . وقد اشتركت فيها ال ١٥٠ فرقة الجيدة التجهيز . وبالرغم من مقاومة العدو المرتكز الى تحصينات قوية ، وبالرغم من الظروف الجوية غير الملائمة ، فقد خرقت جيوشنا خطوط دفاع العدو في بروسيا الشرقية ، وفي بولونيا ، وفي المجر ، وفي القسم الشرقي من النمسا ، وفي المانيا . وفي اواسط نيسان احتلت ، على

---

(١) في بداية ١٩٤٥ ، سحبت القيادة العليا النازية من الجبهة الغربية ثلاثين فرقة كي تلقي بها الى الجبهة الالمانية السوفياتية . وكان في وجه الجيش السوفياتي ال ١٨٥ فرقة الافضل قدرة على القتال ، ومنها ٣٠ فرقة مدرعة و٥٢ فرق آلية ، في حين ان ٥٢ فرقة ، اكثر عياء ، كانت ترابط في الجبهة الغربية .

صفاف نهر الاودر ،المواقع التي انطلق منها فيما بعد هجومها  
الاخير في اتجاه برلين .

من المعلوم ان الجيش السوفياتي قد شن هجومه في  
كانون الثاني ، قبل ثمانية ايام من الموعد المقرر . وفي الواقع ،  
ففي ٦ كانون الثاني كان تشرشل قد طلب من الحكومة السوفياتية  
نجدة القوات الانغلو - اميركية التي كانت قد اصبحت في وضع  
خرج بنتيجة الهجوم المعاكس الالماني في الاردن .

واهتماما منها بمد يد المساعدة الى حلفائها ، فان القيادة  
السوفياتية ، بالرغم من الظروف الجوية الرديئة ، عجلت  
استعداداتها من اجل الهجوم الذي شنته في ١٢ كانون الثاني .  
بدلا من الـ ٢٠ منه ، كما كان مقررا في الخطة (١) .

وكان اجتياز الاودير والاستيلاء على برلين يشكلان مسألة  
عسكرية بالغة التعقيد . فان العدو كان قد حشد حوالي مليون  
نازي كانوا يحاربون بضراوة اليأس . وقد بنيت خطوط دفاعية  
قوية تمتد على مئة كلم بين نهر الاودير وعاصمة المانيا التي حولت  
الى قلعة حقيقية . وكان الزعماء النازيون يعتزمون الصمود في  
هذه المواقع حتى ايام افضل . لكن خططهم احبطت من قبل  
القوات السوفياتية التي وجهت ضربة مباشرة الى قلب المانيا  
الهتلرية .

اشتركت في الهجوم ضد برلين ثلاث جبهات ، الجبهتان  
البلوروسيتان الاولى والثانية ، والجبهة الاوكرانية الاولى بقيادة  
المارشالات روكوسوفسكي ، وجوكوف ، وكونييف ، وكان تحت  
نصرها ٤١ الف و ٦٠٠ قطعة مدفعية ومدفع هاون و ٦ آلاف

---

(١) بعد انتهاء الحرب فان البحث في الملفات المأخوذة من العدو بالاضافة  
الى افادات المعتقلين السابقين في معسكرات الاعتقال قد اتاحت الادراك بسان  
الهجوم السريع للقوات السوفياتية خلال شتاء وربيع ١٩٤٥ قد اتاح استباق  
تحقيق مشاريع الهتلريين في انشاء « السلاح الاعجوبة » الذي لم يكن سوى  
القبلة الذرية . وكانت اشغال اعداد سلاح التدمير الشامل هذا التي جرت في  
الاقبية المشؤومة في رينيمند ، قد اشرفت على الانتهاء . ويعثر على تفاصيل  
هذه القضية في كتاب الصحفي الالماني جوليوس ماديير « سر هانتفيل » الذي  
اصدرته في عام ١٩٦٢ المنشورات العسكرية في الجمهورية الديمقراطية الالمانية.





### لقاء على الالبه

و ٣٠٠ دبابة ومدفع بقطر ذاتي ، وحوالي ٨ آلاف طائرة .  
وانجزت بمهارة عظيمة هذه العملية ، عملية تطويق وتدمير  
قوات عدوة هامة .

في ١٦ نيسان ١٩٤٥ فتحت عشرات الالف المدافع ومدافع  
الهاون نارا جهنمية على تحصينات العدو على الضفة اليسرى  
للاودير . وكانت الالف البروق تخرق ضباب الصباح . وكان  
كل شيء يهتز ، وكان هدير المدافع يسمع على بعد عشرات  
الكيلومترات ، وارتفع وهج الحريق فوق المواقع الالمانية .  
في الساعة الرابعة وعشر دقائق صباحا ، ارسلت قيادة  
الفرقة النازية المراقبة في غرب كوسترين ، الى هيئة اركان دفاع  
برلين برقية جاء فيها :

« اننا نتعرض لنار جهنمية . وقد فقدنا الارتباط مع  
انسرايا . وفي اماكن عديدة ضوء قوي غامض المنشأ ، ملايسن  
الشموع ، ولم نستطع تحديد مصدره . ربما كان ذلك نوعا جديدا  
من السلاح . وربما كان من الكيمياء ( كذا ) ! » .

ان هذا الضوء الغريب كان صادرا عن مبني مصباح كشاف بقوة شديدة جدا احضرتها القوات السوفياتية من أجل الهجوم ، لكي تضيء ميدان المعركة .

وفي ذلك اليوم قام الطيران السوفياتي بأكثر من ١٧ ألف تحليق . وبلغ الوزن الاجمالي للمتفجرات التي اطلقتها المدفعية خلال معركة برلين ٢٦ ألف طن . وقد سحقت الجبهة الالمانية على الاودير سحقا تاما .

ان القوات السوفياتية التي ظلت تلاقي دائما مقاومة شديدة من العدو لم تصل الى ضواحي برلين قبل ٢١ نيسان . وفي ٢٥ نيسان طبق الطوق حول المدينة في حين تلاقت ، في مكان ابعد الى الجنوب ، طلائع القوات السوفياتية والاميركية على نهر الالبه في مكان غير بعيد عن تورغو .

دافع النازيون دفاعا عنيدا عن مبنى الرايخستاغ . وقد هاجمته الافواج السوفياتية بقيادة المقدم دافيدوف ، والرئيس



لقاء في تشيكوسلوفاكيا .

نيوسترويف ، والملازم الاول صامصونوف . وفي ٣٠ نيسان اصبح المبنى في قبضتنا . وفي الساعة ١٤ و ٢٥ دقيقة ، خفق علم النصر على مبنى الرايخستاغ . ان القيادة النازية التي رأت ان القسم الاكبر من قواتها قد تمزق اربا ونظرا لادراكها عدم جدوى مواصلة المقاومة ، ابلفت بواسطة اللاسلكي في ٢ ايار في الساعة الواحدة و ٥٠ دقيقة ، ان حامية برلين مستعدة للاستسلام . وقد استسلم اكثر من ٣٠٠ ألف جندي وضابط . وانتهى الهجوم على برلين بانتصار ساطع للقوات السوفياتية . وكان ذلك نهاية المانيا النازية .

في شوارع العاصمة الالمانية كان المحاربون يشعرون بأنهم حققوا واجبهم . فأبطال معارك موسكو ، وستالينغراد ، وكورسك ، والديبر ، وممثلو جميع شعوب الاتحاد السوفياتي قد تلاقوا هناك في تلك اللحظة الفريدة .

وبعد أيام من ذلك اعترفت المانيا الهتلرية بالهزيمة . وفي ٨ ايار وقع ممثلو القيادة العليا الالمانية في برلين وثيقة استسلام جميع القوات المسلحة الالمانية دون قيد ولا شرط .

ألقي العدو السلاح ، لكن مجموعة قوية في تشيكوسلوفاكيا كانت تطمح الى البقاء خارج الاستسلام ، ونسف براغ ، وابادة سكانها ، وبالتالي اللجوء الى الغرب . وكانت براغ معرضة لتهديد خطير . وكانت اذاعة المدينة تردد دون انقطاع : « براغ وتشيكوسلوفاكيا تطلبان النجدة ... ساعدونا ، ان قواتنا تنفذ ولم يعد عندنا ذخائر ... » .

ان التشيكيين الثائرين كانوا قد سيطروا على محطة الاذاعة وكانوا يخاطبون قواتنا على هذا النحو . وكان الوضع حرجا ، ولكن لم يلبث ان انتشر في التحصينات النبأ التالي : « لقد سمعنا الروس . الجيش السوفياتي قادم ! » .

اجتازت العناصر المتحركة للجيوش الاوكرانية الاولى ( الجيشان المدرعان للجنرالين ريبالكو ويليوشنكو ) بسرعة خارقة مسافة ال ٣٥٠ كلم التي كانت تفصلها عن براغ ، عن طريق درسدن والارزجيبيرج . وفي ٩ ايار اقتحمت الدبابات السوفياتية مدخل العاصمة التشيكوسلوفاكية فألقذتها بذلك من الدمار . وتخليدا للذكرى هذا الحدث وكاعتراف ابدي بنجميل محرريهم ،



وضع سكان براغ ، على قاعدة ، الدبابة السوفياتية الاولى التي دخلت مدينتهم .

انتهت الحرب في اوروبا ، واحتفل الشعب السوفياتي في ٩ ايار ١٩٤٥ ، بالانتصار على المانيا النازية ، بذلك النصر الذي طالما ترقبه كل ذلك الزمن الطويل ملايين الناس في العالم بأسره .



أظهر الجنود السوفيات نفس الشجاعة ونفس البسالة في المعارك من أجل تحرير شعوب آسيا المضطهدة من قبل العسكريين اليابانيين .

ان الجيش السوفياتي ، الامين لالتزاماته تجاه حلفائه ، بدأ في ٩ آب ١٩٤٥ الاعمال الحربية ضد اليابان ، ولم تكن القوات السوفياتية بحاجة لأكثر من بضعة أيام كي تبسّد في مبادين المعركة في شمال الصين ، وفي كوريا ، وفي جنوب ساخالين ، مليون جندي من جنود جيش شمال شرقي الصين . وهذا الانتصار قد قرب الاستسلام الياباني ونهاية الحرب العالمية الثانية .

ان هزيمة الفزاة اليابانيين ، كان يعود الفضل فيها بنصيب كبير الى بطولة الشعب الصيني وجيشه ، جيش التحرير الوطني ، وجنود الجيش الشعبي لنفوليا ، والوطنيين الكوريين ، والفياتناميين ، والاندونيسيين ، ووطنيين بلدان آسيوية أخرى . ان مساعدة الجيش السوفياتي المنزهة الى الشعوب الآسيوية الواقعة تحت الاحتلال في طرد المستعمرين اليابانيين قد أكسبته الشكر الصادق من قبل ملايين الناس . ويحتفظ في موسكو ، في المتحف المركزي للجيش السوفياتي ، بلفافة منحرير طولها ٧١٧ مترا وتحمل أقوال عرفان الجميل من قبل سكان شمال شرقي الصين تجاه المحاربين السوفيات .

ويستحيل ان يقرأ المرء دون تأثر الرسالة التي وجهها الشعب الكوري الى قيادة الجيش السوفياتي والتي ذيلت ب ١٦ مليوناً و ٧٦٧ ألف و ٦٨٠ توقيعاً وجاء فيها : « ليست هذه هي



فرحة النصر .





المرّة الأولى في تاريخ كوريا ، التي تشهد فيها البلاد على أرضها جيوشاً أجنبية . فان سيوف هذه الجيوش كانت تبعد وطنيينا وسكاننا الأمنين . وكانت تحرق مدننا وقرانا وتحولها الى حقول من الانتقاض وإلى اكوام من الرماد .

« والقوات السوفياتية هي الوحيدة التي لم تأت إلينا كقوات فتح ، بل كقوات تحرير . ان بلادنا تستطيع التنفس بحرية بعد ان انتقلت من الاستعباد . لقد انسنا قبس السماء المشع ، وازدهرت أرضنا ، واخذنا نشيد الحرية ، والفرح والسعادة .

لن ينسى شعب كوريا أبدا المآثر البطولية للمحاربين السوفيات ، هذه المآثر التي ستنقل الى جيل بعد جيل ، موقظة دوما لدى شعبنا شعورا حارا بالحب والاعتراف بالجميل تجاه الجيش السوفياتي » .

### الحقيقة عن الجندي السوفياتي

لقد انهينا حديثنا السريع عن الطريق الشاق بصورة خارقة الذي اضطر الجندي السوفياتي لاجتيازه من أسوار موسكو وضاف الفولغا الى برلين ونهر الالبه ، ومن بايكال والأمور حتى بورارثر وإلى جنوب ساخالين . ويستحيل تقريبا تصور مدى الاحداث . فانه محيط حقيقي من الوقائع ، والامثلة ، والوثائق . ولم نقتطف منه حتى جزءا من الف . ولكن فكما ان نقطة بسيطة تعكس ضوء الشمس الضخمة ، فان كل واقع منعزل من البطولة يعبر عن السمات المميزة للجيش السوفياتي بمجمله .

فللجندي السوفياتي ملايين الاصدقاء في بلدان العالم الاكثر بعدا : من هافانا الى جاكارتا ، ومن المحيط المتجمد الشمالي الى الرمال المحرقة في افريقيا . وهؤلاء الاصدقاء يعرفونه من النصيب الذي ساهم به في تحرير الشعوب .

ولكن الى جانب هؤلاء الاصدقاء العديدين فان للجندي السوفياتي عددا غير قليل من الاعداء المنكشفين والمستترين .

ومن المعلوم كم من الاقوال المكذبة قد ادلي بها عشية الحرب العالمية الثانية تجاه الاتحاد السوفياتي ، وشعبه ، وجيشه . وكانت شخصيات سياسية وعسكرية عديدة ، والصحافة القريبة





وהל احدى من العودة !

الرجعية ، تكرر بأن الجيش السوفياتي هو « عملاق برجلين من خرف » وان معداته ، وملاكاته ، وفنسه العسكري ، ومعنويات جنوده ، متدنية جدا .

وقد تنبأ الكثيرون من الاختصاصيين بهزيمة القوات السوفياتية في حرب كبرى . ( كتبت صحيفة نيويورك بوست الاميركية مثلاً في خريف ١٩٤١ ما يلي : « من اجل انقاذ الحمر من كارثة محتمة ينبغي حدوث معجزة شبيهة بمعجزات التوراة » ) .  
والان حيث أصبحت الوقائع امامنا ، فان المتشككين يحاولون

ان يعطوها تفسيراً مفرضاً . فان مؤرخين بورجوازيين عديدين يفسرون الهزيمة المدوية لجيشوش هتلر على الجبهة الالمانية السوفياتية بـ « الاخطاء المشؤومة » للفوهرر ، الذي لم يكن يأخذ ، على حد زعمهم ، بعين الاعتبار رأي جنرالاته ، كما يفسرونها بشدة الشتاء الروسي ، وبالوضع السيء لطرق المواصلات في روسيا الخ (١) .

ومن غير الخوض في جدل عقيم ، سنكتفي بأن نشير الى انه ، خلال الحرب ، كانت الشخصيات السياسية والعسكرية البارزة والصحافة الغربية ، وكذلك الزعماء الهتلريسون انفسهم ، يتحدثون عن الدولة السوفياتية ، وعن الجندي الروسي ، وعن تسليح وتكتيك الجيش الاحمر .

### حول النظام السياسي والقوات المسلحة للاتحاد السوفياتي

« حين كان بعض الاختصاصيين يحللون الطاقات العسكرية لروسيا السوفياتية ، كانوا يعتبرون بأن اضعف نقطة فيها هي الوضع الداخلي . وكانوا يزعمون بأن سكان روسيا السوفياتية يضمرون العدااء العميق للنظام البلشفي . وقد بعث ذلك لدى البعض الامل بأن الحرب ستثير في البلاد انتفاضة ستعجل في انهيار هذا النظام . لكن هذه الافتراضات لم تتحقق . ففي روسيا السوفياتية نشأت شبيبة رباها النظام الجديد ، تفضل الموت على التراجع ولو خطوة واحدة » .

( صحيفة «خبر» التركية ، آب ١٩٤٢ )

---

(١) يعثر على مزاعم من هذا النوع مثلاً في الكتب التي صدرت بعد الحرب ، كمؤلفات الجنرال الهتلري السابق فون تيبلسكرش « حصيلة الحرب العالمية الثانية » ، والجنرال الاميركي برادلي « تاريخ جندي » ، والكتاب العسكري الانكليزي فولر « الحرب العالمية الثانية » ، ومجموعة « الحرب العالمية لالعوام ١٩٣٩ - ١٩٤٥ » التي وضعها الجنرالات النازيون المهزومون ، وفي منشورات اخرى ايضاً .



« كان من الواضح جيدا ان ميدان المعركة كان بالنسبة للروس رقعة شطرنج . فان ضرباتهم كانت محسوبة سلفا ، الامر الذي اجبر الالمان ، من اجل صدها ، على اعمال نقل متواصلة للقوات من هذا الطرف في رقعة الشطرنج الشاسعة الى الطرف الاخر ، من البلطيق الى دلتا الدانوب . ولم يبلغ الالمان قط مستوى الروس في فن فهم هذه اللعبة » .

( الصحفي الاميركي دالف انجرسول

في كتابه « سري جدا » )

« ان قوة الجيش الاحمر تكمن في اعداده ، وفي انضباطه ، وفي معنويات جنوده ، وفي التنظيم المدهش للاقتصاد الوطني والسكان ، هذا التنظيم الذي يهدف الى مساعدة الجيوش » .

( الصحفي الاميركي والتر كير في كتابه

« الجيش الروسي » صفحة ١٩٧ )

« في محاكمة نورمبرغ ، قال محامي غورنغ موجهها كلامه الى القيلد مارشال فون باولوس ، الذي مثل امام المحكمة كشاهد : « اود ان اسأل الشاهد باولوس ما اذا كان صحيحا انه في الفترة التي كانت فيها بلاده في حالة حرب مع روسيا السوفياتية قد قبل التكليف باعطاء دروس استراتيجية في المدرسة العسكرية العليا للعدو ؟ »

« وقد اجابه فون باولوس : كانت الاستراتيجية السوفياتية اعلى من استراتيجيتنا الى حد ان الروس لم يكونوا دون شك بحاجة للتفكير بي لو افلقروا الى المدرسين من اجل مدارس ضباطهم . وفضل برهان استطيع ان اقدمه هو نتيجة معركة الفولغا التي اسرت بعدها ، وكذلك واقع انكم تشاهدون هؤلاء السادة في قفص الاتهام » .

( ملفات محاكمة نورمبرغ )

### حول الاسلحة السوفياتية

بالرغم من ان الاتحاد السوفياتي كان يحوز قدرة اقتصادية ادنى من قدرة المانيا ، فقد انتج خلال الحرب كميات من المعدات اكثر منها .

## معطيات حول انتاج النماذج الرئيسية من الاسلحة خلال الحرب ( بالسوف الاتحادات )

طائرات	دبابات ومدافع	مدافع ومدافع هاون	رشاشات
بقطر ذاتي			
الاتحاد السوفياتي	١.٨	١٠٠	٤٤٦
المانيا	٧٩	٥٣٠٦	١١٣
			٦١٧

ان الجنرالات الهتلريين هم المؤهلون اكثر من غيرهم لاعطاء حكم على نوعية هذا العتاد الذي تسنت لهم فرصة اختبار نتائجه . ويعترف الفيلد مارشال فون كلايست بما يلي :

« كانت الاسلحة الروسية جيدة ، حتى في عام ١٩٤١ ، وخاصة الدبابات . وكانت مدفعيتهم رائعة ، وكذلك اكثرية نماذج الاسلحة الفردية ، وكانت بندقيتهم اكثر اتقانا واسرع من بندقيتنا . وكانت دباباتهم من طرازات - ٣٤ افضل دبابة في العالم » .

### حول مساعدة الحلفاء

تبالغ بعض المنشورات الاجنبية بصورة واضحة باتساع المساعدة الاقتصادية والعسكرية التي قدمها الحلفاء للاتحاد السوفياتي . وفي الواقع فان مجموع شحنات الاسلحة والمؤن الى الاتحاد السوفياتي يبلغ حوالي ٤ ٪ من مجموع انتاج الشعب السوفياتي خلال اعوام الحرب .

### الرئيس روزفلت :

« اننا نعظم بأن الشحنات الاميركية قد خدمت في محاربة عدونا المشترك . الا اننا لم نعتبر قط الاعارة والتأجير كاملا حاسما قادرا على تحقيق هزيمة المانيا . فان هذه الهزيمة هي من صنع جنود الجيش الاحمر الذين ضحوا بدمهم وبحياتهم في سبيل الانتصار على عدونا المشترك » .

( ملفات السياسة الخارجية للاتحاد السوفياتي )

### ارنست بيغن ، وزير العمل البريطاني :

« ان المساعدة التي استطعنا تقديمها هي شيء ضئيل بالمقارنة مع الجهد الجبار للشعب السوفياتي . وحين سيقرا

أحفادنا مؤلفات التاريخ سيلتفتون الى الماضي بشعور عميق من الإعجاب والامتنان لبطولة الشعب الروسي .

( التايمز ، ٢٢ حزيران ١٩٤٢ )

### ادوار ستيتينيوس وزير خارجية اميركا :

« كل هذه المساعدة سبق أن دفع ثمنها الروس . وان الثمن الذي دفعوه لا يقدر لا بالدولارات ولا بالاطنان : انه الوف الجنود النازيين الذين قتلهم أو أسرهم الروس . . . لقد دفعوا غالبا ثمن الانتصارات التي أحرزوها دفاعا عن بلادهم ضد المانيا ، الا أنهم قد الحقوا ضررا فادحا بماكنة الحرب النازية . ونتيجة لذلك فان الحرب ستكون أقصر مدة بكثير » .

( « الإغارة والتاجير ، سلاح النصر » ،

نيويورك ، ١٩٤٤ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ )

هذه الشهادات لا تحتاج الى تعليق . الا انه يبقى علينا أن نستشهد ببعض رجالات الدولة والعسكريين الغربيين الذين قيموا بالعبارات التالية دور الاتحاد السوفياتي وجيوشه في هزيمة القوات الالمانية :

### الرئيس فرانكلن روزفلت

« باسم شعب الولايات المتحدة أود أن أعرب للجيش الاحمر ، بمناسبة الذكرى السنوية الـ ٢٥ لتأسيسه ، عن الإعجاب الذي توحيه لنا انتصاراته الرائعة والخارقة . . . ان مثل هذه النجاحات لا يمكن ان تكون في متناول سوى جيش يقاد بمهارة ، متيسر التنظيم ، جيد الاعداد ، وعلى الاخص مصمم على قهر عدوه مهما كانت التضحيات . . . لقد أرغم الجيش الاحمر والشعب الروسي القوات المسلحة الهتلرية نهائيا على سلوك طريق هزيمة محتمة ، وضمننا لزمن طويل اعجاب الشعب الاميركي » ( شباط ١٩٤٣ ) .

( الرسائل المتبادلة بين رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي

والرئيس الاميركي ورئيس وزراء بريطانيا ، خلال الحرب

العالمية الثانية ، ١٩٤١ - ١٩٤٥ ، المجلد الثاني ،

ص ٥٧ ، الطبعة الروسية ) .

## ونستون تشرشل :

« إن الجيش الروسي هو الذي فرق أحشاد الجيش الألماني » .

( خطاب في مجلس العموم ، ٢ - ٨ - ١٩٤٤ )

## شارل ديغول :

« يعرف الفرنسيون ماذا فعلت روسيا السوفياتية من أجلهم ويعلمون أن روسيا السوفياتية بالتحديد هي التي لعبت الدور الرئيسي في تحريرهم . فإن الجهد الروسي بانزاله بالآلة العسكرية الألمانية جراحا لا شفاء لها ، كان الشرط الأساسي لتحرير أراضي بلادنا » .

( خطاب في المجلس التأسيسي ، ٢١ كانون الأول ١٩٤٤ )

## ادوار ستيتينيوس

« يجب أن يذكر الشعب الأميركي أنه كان في عام ١٩٤٢ على قيد أنملة من الهلاك . فلو أن الاتحاد السوفياتي لم يصمد في جبهته لاستطاع الألمان الاستيلاء على بريطانيا ولا استطاعوا أيضا الانتقال إلى أفريقيا ، ولتمكنوا انطلاقا منها من إنشاء رأس جسر في أميركا اللاتينية » .

( أ. ستيتينيوس « روزفلت والروس » ، ١٩٤٩ ، ص ٧ )

« قال الجنرال تشونولت ، قائد القوات الجوية الأميركية في الصين ، بأن دخول الاتحاد السوفياتي الحرب ضد اليابان كان حاسما ، وإن سير الحرب في المحيط الهادئ قد تعجل نتيجة لذلك ، الأمر الذي كان سيحدث حتى ولو لم تلق القنبلتان الليريتان . وبضربة صاعقة ، أغلق الجيش الأحمر الطوق ، وأجبرت اليابان على الركوع على ركبتيها » .

( صحيفة نيويورك تايمز ، ٥ آب ١٩٤٥ )

## دروس التاريخ

ان تحليل حصيلة الحرب العالمية الثانية غني بالدروس . فالشيء الرئيسي هو أن الشعوب والجيشوش التي تناضل في



سبيل القضية العادلة ، قضية حريتها واستقلالها ، لديها كل المبررات لتوقع النصر ، مهما كان الطريق الذي يقودها الى انتصار العدالة ، صعبا وطويلا . ونشاهد ايضا بأن قوة الشعوب المتحررة تكمن في تلاحم ووحدانية اعمالها وفي موقفها الرفيع اليقظة تجاه مناورات الرجعية . ان المعتدين لا يتأثرون بالخطب وبالدهوات الى التعقل . ولا يمكن كبح جماحهم الا بفضل اعمال مشتركة تقوم بها الشعوب على أساس الموارد المادية والعسكرية للبلدان المتحررة .

وقد اثبت تشكيل ائتلاف قوي معاد للنازية ، خلال الحرب ، من شعوب ودول ذات أنظمة اجتماعية مختلفة ، وتعاونها السياسي ، والاقتصادي ، والعسكري ، ان التفاهم المتبادل بين البلدان الاشتراكية والراسمالية ليس ممكنا فحسب ، بل هو ضروري ايضا . الا تستطيع حقا التوصل الى هذا التفاهم والى هذا التعايش السلمي في زمن السلم ، في أيامنا ؟ انها تستطيع وينبغي عليها ان تفعل ذلك .

وبالتالي فان انتصار الشعب السوفياتي على الفزاة النازيين قد اثبت بوضوح ان التعطش الى الفتح واللجوء الى « سياسة القوة » تجاه الدولة السوفياتية القوية وجيشها الشعبي ينطويان على نتائج مفعجة جدا بالنسبة للمعتدي . وهذا ما ينبغي ان لا ينساه الانتقاميون ومثيرو حرب جديدة . وكما يقول مثل شرقي : « حين الشروع في عمل ما ، فان الحكمة تقضي بتقدير نتيجته » .

ان الانتصارات الرائعة للشعب السوفياتي والشعوب الحرة الاخرى خلال الحرب العالمية الثانية ، والهزيمة الساحقة للقوى الصدامية للرجعية العالمية سواء في الشرق ام في الغرب ، قد اوجدت ظروفًا ملائمة جدا لاستئناف نضال التحرر الوطني لشعوب آسيا ، وافريقيا ، واميركا اللاتينية . وهذا النضال قد تكلل بمثل تلك النجاحات الى حد ان خارطة العالم قد تغيرت تغيرا عميقا نتيجة لذلك . فاذا كان ٧٠ ٪ من الناس كانوا خاضعين للنير الاستعماري في عام ١٩١٩ ، فان ١ ٪ منهم فقط لا يزال الان يعاني هذا الشكل من العبودية . فشعوب اندونيسيا ، والهند ، وبورما ، ومصر ، وغانا ، وغينيا ، والجزائر ، وشعوب بلدان

عديدة أخرى ، التي تغلبت على مقاومة المضطهدين ( بكسر الهاء )  
الاجانب والرجعية الداخلية ، قد توصلت الى الاستقلال . ويشكل  
انتصار شعب كوبا الثوري مثالا محفزا لكل اميركا اللاتينية .  
وتتمتع الشعوب المناضلة في سبيل استقلالها بالتأييد  
الفعال للشعب السوفياتي وكل الاسرة الاشتراكية : وبمطفقوى  
التقدم في العالم بأسره .

لكن القوى الرجعية والعسكرية لم تتخل عن مشاريعها بعد .  
فنظام الحكم الاستعماري لم يمت بعد . وليس سلم وسلامة  
الشعوب في مامن من كل خطر . ولهذا السبب فان الواجب  
المقدس للشعوب ، ولجميع الناس اصحاب النوايا الطيبة ، هو  
ابداء اليقظة في كل لحظة ، وان يكونوا على استعداد لفضح  
دسائس المستعمرين ، اعداء السلم والتقدم الاجتماعي .

## حارسى السلم

### هل يريد الروس الحرب ؟

ان كل من يزور الاتحاد السوفياتي لا بد وان يدهش للوتائر الخارقة التي يستمر بها عمل البناء الذي يقوم به السوفياتيون . والشعب السوفياتي لا تنقصه مواضيع الاعتزاز : سدود عظيمة ، ومدن جديدة ، واستثمار لمكان جبارة للنفط ، وللماس ، والفلز ، وارتياح الفضاء الكوني ، وعلى الاخص اذا اخذنا بعين الاعتبار الخسائر الناتجة عن الغزو النازي .

ان مشاريع الاتحاد السوفياتي للفترة القادمة هي اكثر اثارة للذهول ايضا . لكن تحقيقها يتطلب صيانة السلم . ولهذا السبب فان التطلع الى السلم والى علاقات صداقة مع جميع الشعوب ، هو بمثل تلك القوة لدى جميع مواطني بلادنا .

والحكومة السوفياتية هي المنفذ الامين لارادة شعبها حين تستخدم كل طاقتها في تطبيق سياسة سلمية ، وحين تسعى جاهدة لان تحل عن طريق المفاوضات القضايا الدولية المختلف عليها ، وحين تناضل في سبيل نزع سلاح عام شامل ، وفي سبيل تعايش سلمي بين الدول بغض النظر عن نظامها الاجتماعي . ومنذ نهاية الحرب ضد الفاشية ، عمد الاتحاد السوفياتي الى تسريع جيشه والى حل وحدات عديدة ، واعاد الى الحياة المدنية ملايين الضباط والجنود . وخلال فترة ١٩٥٥ - ١٩٥٨ ، خفضت القوات السوفياتية مليونين ومائة واربعين الف رجل ، وخفضت معداتها بشكل يتناسب مع تخفيض الرجال .

ان ارقام الموازنة السوفياتية هي بليغة ايضا . فقد هبط نصيب النفقات العسكرية من ٢٣٦٩ ٪ في ميزانية ١٩٤٦ الى ١٤٦٥ ٪ في ميزانية ١٩٦٤ . وقد سجل الراي العام العالمي ، بمثابة بادرة نية حسنة ، انزال هذا الرقم الى ١٢٦٩ ٪ ( ١٢٦٨ مليار روبل ) من موازنة ١٩٦٥ .

وسحبت الحكومة السوفياتية جزئيا من الجمهورية الديمقراطية الالمانية ، والمجر ، وبولونيا ؛ وكلها من رومانيا ، القوات التي كانت قد أبقتها هناك بالاتفاق مع حكومات هذه البلدان ، واقترحت على الولايات المتحدة ، وعلى بريطانيا ، وعلى فرنسا ، اخلاء الاراضي الالمانية اخلاء تاما من قبل قوات الدول الاربع . واقترحت ايضا حل المنظمتين العسكريتين لمعاهدة فرسوفيا وحلف الاطلسي . وليس السدب ذنب الاتحاد السوفياتي اذا كانت هذه الاقتراحات قد رفضت .

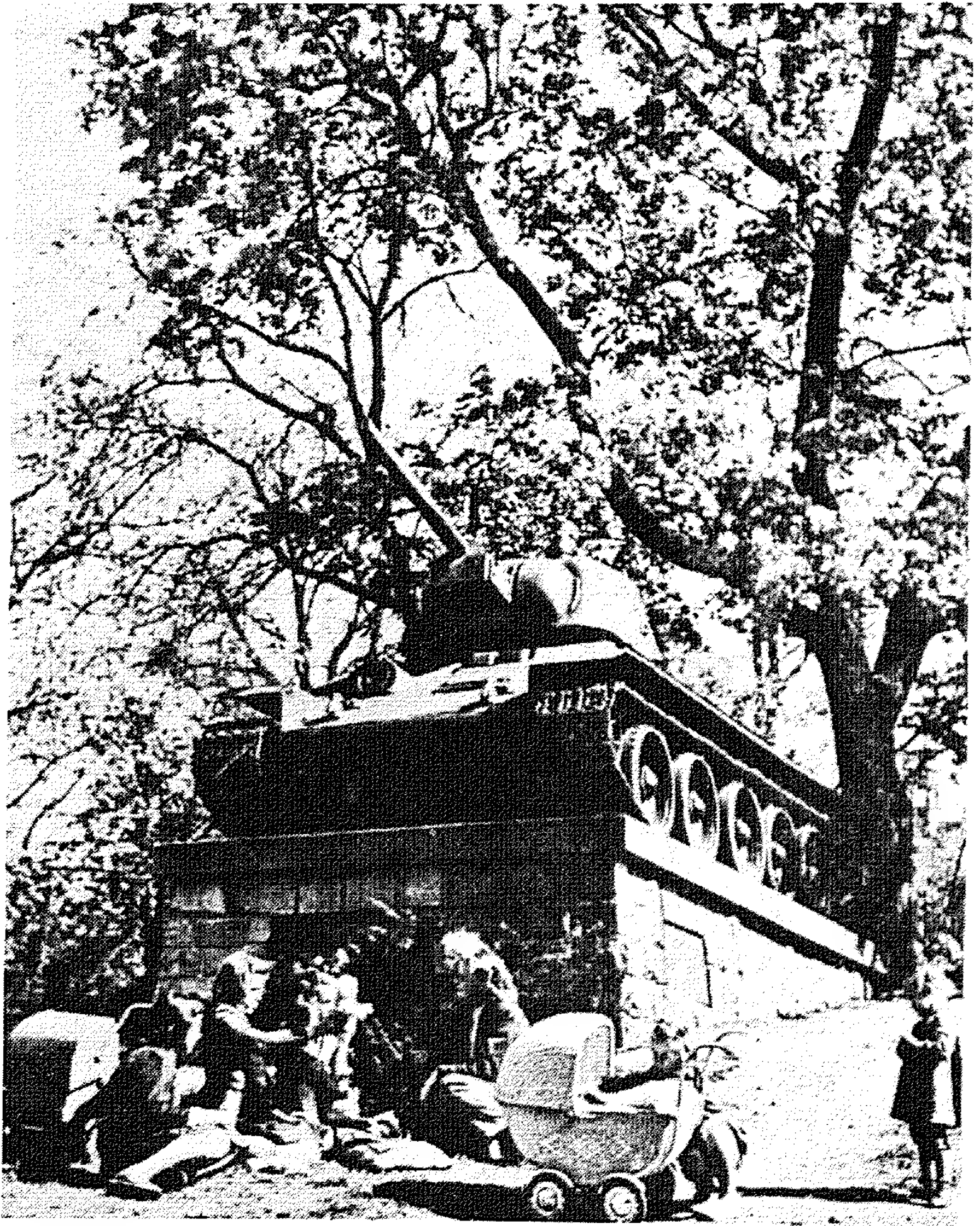
واخيرا من اجل القضاء على الخطر الرهيب الذي يشكله السلاح النووي بالنسبة للانسانية ، فان الحكومة السوفياتية تناضل بحزم من اجل ازالة هذا السلاح من ترسانات جميع البلدان . وقد لقي توقيع الاتحاد السوفياتي وبلدان عديدة اخرى لمعاهدة موسكو حول حظر التجارب النووية في المجالات الثلاثة ( على سطح الارض ، وفي الجو ، وفي الماء ) التأييد الواسع من قبل الراي العام العالمي ، الذي يعتبره ، بحق ، نجاحا هاما للقوى السلمية . والاتحاد السوفياتي على استعداد للسير شوطا أبعد في هذا الطريق وهو يسمى جاهدا للتوصل الى الحظر الكامل للسلاح الذري وابادته .

ان حروب العدوان هي غريبة عن الطبيعة ذاتها للنظام الاشتراكي . فهي لا تتفق مع ايدولوجية السوفياتيين ومبادئهم الاخلاقية ، الذين يستلهمون النزعة الانسانية واحترام حرية واستقلال الشعوب الاخرى ، وآرائها السياسية ومعتقداتها .

### **ما حاجة الاتحاد السوفياتي بالانفاق على جيش حيث ؟**

لماذا اذن يعمل الشعب السوفياتي وحكومته ، اللذان يهتمان الى هذا الحد بالسلم ، على توطيد القدرة الدفاعية لبلادهما ،





لو اننا لا نعود نرى الدبابات الا على الصروح ...

والطاقة الكفاحية لقواتهما المسلحة . في الوقت ذاته ؟ الا ينطوي ذلك على تناقض ؟ اليكم ما يقوله بهذا الصدد برنامج الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، الذي لقي التأييد الواسع من قبل جميع شعوب بلادنا : « من وجهة نظر الظروف الداخلية فالاتحاد السوفياتي ليس بحاجة الى جيش . ولكن طالما ظل خطر الحرب قائما ، انطلاقا من المعسكر الامبريالي ، وطالما لم يتم

التوصل الى تحقيق نزع السلاح التام الشامل ، فان الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي يرى من الضروري ابقاء على القدرة الدفاعية للاتحاد السوفياتي ، والطاقة الكفاحية لقواته المسلحة ، على مستوى سيضمن الهزيمة الحاسمة والتامة لأي معتد سيتجراً على مهاجمة وطننا السوفياتي .

ان الحرب يمكن ازالتها من حياة المجتمع منذ الجيـل الـراهن . وتعلم الشعوب انه يتسوجب من اجل ذلك النضال وصيانة السلم بكل قواها . وطالما بقي هذا العامل العدواني الذي هو الامبريالية ، فان حروب الفتح يمكن ان تنفجر مرة اخرى . من يستطيع القول ان هذه المخاوف لا مبرر لها ؟

ينبغي في الحقيقة ان يؤخذ بعين الاعتبار وافع انه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، لم يكن هناك عام واحد ساد سلم تام ، دون ان يخوض المستعمرون والامبرياليون حرباً في هذه المنطقة أو تلك من العالم .

الفيتنام ، والصين ، وكوريا ، والجمهورية العربية المتحدة ، ولبنان ، واليمن ، والجزائر ، واندونيسيا ، وكوبا ، والكونغو ، وانغولا ، والجنوب العربي ... ويمكن الاستشهاد ايضا بأسماء بلدان عديدة اخرى اضطرت لمجابهة العدوان الامبريالي منذ نهاية الحرب . وبعض هذه البلدان لا يزال حتى الان مضطراً للنضال المسلح في سبيل حريته واستقلاله .

ان شرارة قد تبدو ضئيلة لاول نظرة يمكن ان تكون دائماً منشأ حريق خطير . هذا هو درس الحرب العالمية الاولى التي سبقتها نزاعات محدودة في البلقان ، وكذلك درس الحرب العالمية الثانية التي انبأت بها حروب محلية عديدة في اوربا وفي آسيا . يحق لنا التساؤل لماذا تواصل الدول الامبريالية الكبرى - الولايات المتحدة ، وانكلترا ، وفرنسا وغيرها - سباق التسلح ، وتنفق على جيوش كثيرة العدد مزودة بمعدات وفيرة . ولماذا تغطي هذه البلدان العالم بشبكة من قواعدها العسكرية ، ولاية اغراض توجهه الكتل - حلف الاطلسي والسنتو وغيرهما - التي انشأتها ؟

ومن يستفيد من نهوض القوات المسلحة المتعطشة للانتقام في المانيا الغربية ؟

هل يستطيع الشعب السوفياتي أن يظل لا مباليا أمام تطورات تنطوي على مثل هذا الخطر الشديد ؟

من السهل أن نفهم أن يكون على القوات المسلحة السوفياتية أن تسهر على صيانة السلم والأمن في بلادها وعلى تأمين الدفاع عن المعسكر الاشتراكي ، الى جانب جيوش البلدان الشقيقة . ويجب أن تكون مستعدة للرد فورا على كل معتد قد يهاجم البلدان الاشتراكية المسالمة .

وقد أتاح تقدم الصناعة الثقيلة ، والانشاءات الميكانيكية والالكترونيك ، والبحث العلمي في الاتحاد السوفياتي ، في السنوات الاخيرة ، القيام باعادة تنظيم جذرية لمختلف الجيوش والاسلحة وتزويدها بالمعدات الأكثر فعالية .

والشعب السوفياتي ، الذي علمته التجربة ، لا يعتزم السماح لأي كان باستغلال ضعفه كي يملّي عليه ارادته . وقد دفع غالبا جدا ثمن حريته واستقلاله وحقه في الحياة وفي بناء مجتمع جديد . فلا يعقل إذن ارتكاب مثل هذا الخطأ .

ولهذا السبب فمن السهل أن نفهم يقظة السوفياتيين أمام مناورات العسكريين ، والعناية التي يبدونها بتعزيز الطاقة الدفاعية للاتحاد السوفياتي . ويعتبر مواطنونا الفصول العسكرية في الميزانية بمثابة نفقات اضطرارية ، ولكنها ضرورية في الوقت الراهن .

### ضمان سلامة الشعوب

أن القوات السوفياتية ، بصواريخها وأسلحتها النووية ، هي درع فعال بالنسبة للبلدان الاشتراكية ووسيلة لاعادة هواة سياسة « مواقع القوة » ومثيري الحرب ، الى رشدهم . وفي الخطاب المذاع في التلفزيون ، الذي القاه فيدل كاسترو في ٤ حزيران ١٩٦٣ ، أعطى ، على أساس ملاحظاته الشخصية ، تفييما رفيعا جدا لقدرة الجيش السوفياتي ، وبصورة خاصة لصواريخه ، مغلنا بأنها تشكل « الضمان الأكثر فعالية للسلم » . وتساءل فيدل كاسترو قائلا : « لماذا تشكل وسيلة للمحافظة على السلم ؟ » وأجاب هو نفسه على ذلك قائلا : « لان نتيجة كل عدوان من قبل المعسكر الامبريالي ستكون الابادة التامة لهذا

المعسكر الذي لن يبقى منه حجر على حجر . وهذه الابداء لا يمكن  
الحيلولة دونها لا بهجوم غادر ضد الاتحاد السوفياتي ولا بهجوم  
مفاجيء ...

يعلم الامبرياليون جيدا ، وهم على اطلاع تام على المعدات  
التي يحوزها السوفياتيون ، ويدركون جيدا أيضا دقة هذه  
الصواريخ ... وبالتالي فهم يعلمون جيدا انهم لن يظلوا دون  
عقاب اذا شنوا عدوانا .

اما الشعوب ، وجميع اولئك الذين يدافعون عن استقلالهم  
الوطني بمكافحتهم المستعمرين المعاصرين ، فهم لا يرون اي خطر  
في قوة الاتحاد السوفياتي ، التي هي على العكس ، سند اكيد لهم  
في نضالهم العادل في سبيل السلم ، والديمقراطية ، والتقدم  
الاجتماعي .

وحدث اكثر من مرة ، منذ سنوات الحرب  
الاخيرة ، ان تحذيرات الشعب السوفياتي ،  
المدعومة بموارده الاقتصادية والعسكرية ، قد دفعت  
المعتدين الى امعان التفكير ، وارغمتهم على التخلي عن مشاريعهم  
في الغزو او على وقف تحقيقها . ويكفي ان نتذكر العدوان الثلاثي  
الانكليزي - الفرنسي - الاسرائيلي ضد الجمهورية العربية المتحدة  
في عام ١٩٥٦ او التهديدات المتكررة من قبل الامبرياليين بمهاجمة  
شعب كوبا الثوري .

وبناء على طلب حكومات عدد معين من البلدان التي تحررت  
مؤخرا في افريقيا وآسيا ، فقد ساعدها الاتحاد السوفياتي في  
تعزيز دفاعها . وينطبق ذلك على الجزائر ، واندونيسيا ،  
والجمهورية العربية المتحدة ، وبورما ، وغانا ، وغينيا ، ومالي ،  
واليمن ، والكمبودج ، وغيرها .

ان وجود المعسكر الاشتراكي وعدد كبير من بلدان افريقيا  
وآسيا واميركا اللاتينية ، التي سلكت بمساعدة البلدان الاشتراكية  
طريق تعزيز استقلالها الوطني ، يعرقل اكثر فاكث الامبرياليين  
في تنفيذ مشاريعهم العدوانية . ولم يعد مصير الشعوب متوقفا  
على ارادتهم . هذه هي النتيجة المنطقية لتطور الانسانية .

لقد تحولت الاسلحة والمعدات الحربية ، بين ايدي الشعب  
السوفياتي والشعوب الحرة الاخرى ، من وسائل غزو واستعباد،



الى أدوات للسلام ، والحرية ، والاستقلال الوطني ، الى دواء  
مضاد للعدوان .

وتوفر القدرة العسكرية للبلدان الاشتراكية الظروف الملائمة  
لتحقيق مشاريع البناء الاقتصادي المدني .

والجندي السوفياتي ، شأنه شأن جميع الناس الشرفاء  
في العالم بأسره ، يحب السلام ، ولا يطمع الا الى العودة الى الحياة  
المدنية . ولكن طالما لم تأت ساعة وضع الاسلحة في المتحف ،  
فهو يركز كل يقظته على اداء رسالته . ويعلم المعتدون بأنهم  
سيصادفونه في طريقهم ، مسلحاً بكل شجاعته ، وبكل تكتيكه ،  
وبكل روح التضحية لديه .

ان هدفه الوحيد هو صيانة السلم أمام اخطار الحرب .

## فهرس

صفحة

### الانسان الجديد تحت السلاح

٥	في سبيل فهم المسائل الخطيرة على نحو افضل . . . . .
٦	لا يقسماتل الشعب الا مرغما . . . . .
١٠	الوطن المتعرض للخطر ينادي حماته . . . . .
١٤	الجندي السوفياتي عشية الحرب العالمية الثانية . . . . .

### من موسكو الى برلين

٢١	الفاشية هي الحرب . . . . .
٢٥	بداية الحرب . . . . .
٢٧	اسباب النكبات السوفياتية الاولى . . . . .
٣٥	الشعب يقود النضال . . . . .
٤١	الهزيمة الهامة الاولى للويهرماخت . . . . .
٤٦	حصن الفولغا . . . . .
٥٠	خيبرات جديدة . . . . .
٥٤	الويهرماخت في طريق الافول . . . . .
٦١	الرسالة التحررية للجندي السوفياتي . . . . .
٧٣	راية النصر تخفق في سماء برلين . . . . .
٨٠	الحقيقة عن الجندي السوفياتي . . . . .
٨٢	حول النظام السياسي والقوات المسلحة للاتحاد السوفياتي . . . . .
٨٣	حول الاسلحة السوفياتية . . . . .
٨٤	حول مساعدة الحلفاء . . . . .
٨٦	دروس التاريخ . . . . .

### حارس السلم

٨٩	هل يريد الروس الحرب . . . . .
٩٠	ما حاجة الاتحاد السوفياتي بالانفاق على جيش حديث . . . . .
٩٣	ضمان سلامة الشعوب . . . . .



# مَنشورات وكالة انباء نوفوستي

(( الانباء السوفياتية ))

ملحق العدد ٩



Bibliotheca Alexandrina



0559442

مطبعة النجاح